الاعتكاف

نظرة تربوية

د. عبد اللطيف بن محمد بالطو

الاستاذ المساعد بقسم التربية الإسلامية والمقارنة . كلية التربية

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة:

الحمد لله رب العالمين، خلق الخلق لعبادته وحده لاشريك له، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد بن عبد الله ورسوله ﷺ أوضح السبيل لكيفية عبادة الله وحده لاشريك له.

تعمل التربية الإسلامية على التعامل مع جوانب الإنسان الحياتية المختلفة لعلم القائمين على هذه التربية بأهمية كل جانب من هذه الجوانب في الإنسان، وأن أيًا من هذه الجوانب لم يأت بصورة عشوائية، أو على سبيل الصدفة، وإنما أتى لكي يؤدي وظيفة معينة في حياة هذا الإنسان؛ ذلك أن الله عز وجل خالق الإنسان، وخالق الوجود كله يقول: ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ سورة طه، آية (٥٠). وفي هذه الآية يقول (ابن كثير ١٤١٢): «قال سعيد بن جبير في قوله ﴿ **أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ قال: أعطى كل خلق مايُصلحه من خلق، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولاالدابة من خلق الكلب، ولا الكلب من خلق الشاة» ج٣، ص٢٤٨.

وتعمل التربية الإسلامية على التعامل مع الجانب الروحي، والعقلي، والجسمي، والأخلاقي، والإرادي، والتذوقي، وغيرها من الجوانب التي يتكون منها الإنسان من أجل إيجاد تناسق لكي ينتج عنه شخصية متزنة في جميع جوانبها، تصل بها إلى مرحلة الكمال الإنساني، لا كما فعلت بعض التربيات حين ركزت على الجانب الروحي فقط، ونتج عنه مايسمى بالتربية الروحية، أو التي ركزت على الجانب المادي فقط، ونتح عنه مايسمى بالتربية المادية، وكلتاهما كانتا تتسمان بالنقص.

والتربية الإسلامية حينما تأخذ على عاتقها التعامل مع هذه الجوانب الحياتية في الإنسان، بصورة عملية، فهي تستلهم التوجيه الرباني من مصدري الإسلام: كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، ولذلك كانت الربانية سمة أساسية من سمات هذه التربية.

والقرآن الكريم أتى بالكثير من القواعد العامة، التي تعمل على توجيه حياة الإنسان في كل المجالات الحياتية، التي يتعامل معها الإنسان في علاقته مع ربه عز وجل، وفي علاقته مع الرسول ﷺ، وفي علاقته الاجتماعية، وفي علاقته الاقتصادية، وغيرها من أمور الدنيا والآخرة، وفي المسار نفسه جاءت السنة النبوية شارحة لهذه القواعد العامة بشكل تفصيلي متكامل، تتمثل في حياة الرسول الله ﷺ العامة والخاصة، والتي وضحت جليًا حين سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ، فقالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» (أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض) ج٦، ص٢٦٧، شرح النووي. أي أنه ﷺ كان يتمثل القرآن الكريم تمثلاً عمليًا

بصورة واقعية، وعليه فحياة الرسول ﷺ ، والتي تمثلت في سنته الشريفة هي بمثابة المنهل الأساسي العذب بعد كتاب الله عز وجل في توجيه التربية الإسلامية.

وقد غفل عديد من أبناء الأمة الإسلامية ـ إلا من رحم الله ـ عن هذه الحقيقة الناصعة البياض، حين أعرضوا عن هذا المنهل العذب، واتجهوا شرقًا وغربًا بحثًا عن تربية تعجل لهم اللحاق بركب الحضارة الغربية، فكان هذا السقوط المرتقب على مستوى الحياتين الدنيا والآخرة، أي أن هذا التوجه الشرقي والغربي لم يصل بنا إلى ركاب الأمم المتقدمة كما يزعمون ، ولم يقربنا إلى ربنا عز وجل؛ لأننا أعرضنا عن شريعته في قضية من أهم قضايانا ، وهي قضية التربية. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾ سورة طه، آية (١٢٤). ويقول (أسد ١٩٧١هـ) بعد استعراض لواقع الحياة الغربية، وأثرها في حياة المسلمين: «والنتيجة الوحيدة الممكنة هي أن مدنية من هذا النوع إنما هي سم زعاف لكل ثقافة مبنية على القيم الدينية» ص٥٠ .

وحياة الرسول ﷺ محورها الرئيسي عبادة الله عز وجل، فهو خير من عبد الله عز وجل في هذا الكون، فكانت له عباداته اليومية التي كان يواظب عليها من فروض ونوافل، ومن أداء للصلوات الخمس، وأداء للرواتب، وصلاة الضحى، وقيام الليل، وعيادة مريض، وتجهيز غاز، وقضاء حوائج الناس، وغير ذلك من سلوكه اليومي.

وقد كانت له عبادات أسبوعية ، مثل : صيام الإثنين والخميس، وصلاة الجمعة، وعبادات حولية، مثل : صيام شهر رمضان، وقيامه،

واعتكافه في العشر الأواخر منه، وكل هذه الأمور التعبدية التي كان يحيا بها ﷺ لها توجيهاتها التربوية في حياة الإنسان المسلم ، لذلك كان لزامًا على القائمين على تربية النشء المسلم معرفة التوجيهات التربوية في عبادات الرسول الله ﷺ المتنوعة، حتى تستطيع العمل على توجيه هذا النشء على نهج رسول الله ﷺ ؛ لأنه القدوة في كل أمورنا على حد سواء، ومنها التربوية.

موضوع الدراسة:

يعتبر الاعتكاف من السنن المؤكدة، التي واظب عليها الرسول ﷺ منذ هجرته إلى المدينة المنورة، وبالتحديد منذ أن فُرض صيام شهر رمضان على هذه الأمة، وكان من بين الأهداف الرئيسة لهذا الاعتكاف تحري ليلة القدر المباركة، والتي هي خير من ألف شهر. وإن اعترض المواظبة على الاعتكاف عذر، أو أمر ما عمل ﷺ على قضائه.

والاعتكاف عبادة ليست كغيرها من العبادات ، فهي تعني الانقطاع إلى الله عز وجل بالكلية، وهجر ملذات الدنيا، التي تعترض عادة السمو الروحي للإنسان، والصلة المتكاملة بالله عز وجل من أجل تحقيق الصفاء الروحي في علاقة الإنسان المسلم بالله عز وجل. وفي هذا يقول (ابن القيم ١٤٠٧هـ) :

«لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفًا على جمعيته على الله، ولَمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لايلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام

والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثًا، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، أو يعوقه ويوقفه: اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم مايذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع العبد به في دنياه وأخراه، ولايضره ولايقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره والتفكر في تحصيل مراضيه ومايقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لاأنيس له، ولا مايفرح به سواه فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم» ص٨٦، ٨٧.

وتحقيق الصفاء الروحي للإنسان المسلم فيه تنمية لجانب من أهم الجوانب، وهو الجانب الروحي الذي يتحقق من خلاله تنمية الجانب الإيماني في الإنسان.

فالجانب الروحي وظيفته الرئيسة إيجاد صلة مستمرة بين العبد وخالقه عز وجل من خلال دائرة العبادة الواسعة، التي تشمل حياة هذا الإنسان بكليته؛ مبتغيًا بذلك مرضاة الله عز وجل متبعًا فيه شريعة الحق

تبارك وتعالى، وتنقطع هذه الصلة الروحية عند انحراف هذا الإنسان عن ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وتطبيق شرعه القويم، وتعود بعودة الإنسان إليها.

وفي الاعتكاف فرصة كبيرة لتحقيق هذه الصلة المستمرة بين العبد وربه عز وجل، وذلك لتوفر بغية مرضاة الله عز وجل، واتباع شرعه تبارك وتعالى بصورة مستمرة أثناء الاعتكاف. والجوانب التربوية لسنة الاعتكاف لاتنحصر في تربية النفس على تحري ليلة القدر، أو في تربية الجانب الروحي في حياة الإنسان المسلم، وإنما هناك جوانب تربوية متعددة تمكننا أن نقول: إن الاعتكاف يعتبر بحق مدرسة إسلامية تنعقد بصورة سنوية؛ وذلك لتعدد الجوانب التربوية فيه.

أهمية الدراسة:

تأخذ هذه الدراسة أهميتها من ثلاثة جوانب:

أولاً: أنها تدور حول موضوع يرتبط بسنة المصطفى محمد ﷺ، والسنة المطهرة هي المصدر الثاني - بعد القرآن الكريم - من مصادر التربية الإسلامية، وتعد السنة بمثابة تفسير وتبيان لما أجمله القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية، وهي كذلك توضح حياة خير خلق الله وقدوتهم، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ الأحزاب، آية (٢١).

يقول (ابن كثير، ١٤١٢هـ) في تفسير هذه الآية:

«هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله» ج٣، ص٧٥٦ .

وعندما تعمل التربية الإسلامية على الوصول بالإنسان المسلم إلى درجة أحسن تقويم ، كان لابد وأن تعير السنة جل اهتمامها ، وتعمل على ترسم خطا النبي ﷺ في أحواله كما كان يفعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، فكانوا نماذج بشرية عالية الهمم، أمثال: أبي بكر ، وعمر، عثمان، وعلي، وغيرهم رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، كانوا يعملون باستمرار في اتباعه ﷺ في جميع أموره، حتى وإن لم يعرفوا الحكم في سلوكه ﷺ في أي موقف من مواقف حياته، ولاأدل على ذلك أنه قد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «ماحملكم على إلقائكم نعالكم ؟ » قالوا : رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا ، فقال رسول الله ﷺ : «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قذرًا، أو قال: أذى». وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما» (رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل) ج١ ص١٧٥ .

فكانت تلك المبادرة التلقائية الفورية لمتابعة سلوك الرسول ﷺ في كل الأحداث ، ونتج عن ذلك بطبيعة الحال الاستسلام الكلي لشرع الله عز وجل، الذي كان أساسه ارتفاع درجة الإيمان بالله في تلك النفوس .

وعندما بدأ نور الإيمان يخفت ، وتدنت مؤشراته في نفوس كثير من المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ بدأ التفلت من دائرة الشريعة الإسلامية ، وخاصة سنة المصطفى ﷺ على اعتبار أن كثيراً مما جاء في حياته ﷺ سنة ، ولابأس من تركها ، وفي ذلك يقول : (عبد الفتاح أبو غدة في تقديمه لكتاب الهندي ١٤١٢هـ) :

«ترى بعض العلماء والمتفقهين من أهل عصرنا ، ممن عرف بالتساهل في التمسك بالسنن ، إذا قيل له في تركه بعض السنن ، قال : هي سنة ، وهي جائزة الترك ، ويدع المعنى الإيجابي ، وهي المقتضي للاتباع والاقتداء ، واللائق بالمسلم الحصيف غير هذا ، فقد كان السلف الأول يفعلون كل مطلوب شرعًا ـ ولو كان رغيبة أو فضيلة ـ ودون تمييز بين مايطلب على سبيل الفرض أو الواجب ، وبين مايطلب على سبيل الترغيب أو الندب . فالسنة المندوبة حصن للفرائض الواجبة ، وباب لزيادة الحسنات والأنوار على المتسنن بها ، وعنوان الحب والاتباع لهدي الرسول الكريم ﷺ في شأنه كله ، فالحرص على السنن النبوية ، والتمثل بها من أكبر الغنائم ، وأجمل الصفات ، وأفضل القربات والطاعات فعليك به أيها الأخ المسلم» . ص١٥ .

وعليه فاتباع سنة المصطفى ﷺ هي بمثابة استثمار حقيقي لهذه الحياة في شكل حسنات تعود على متبع السنن النبوية ، وتعمل على إثقال موازينه يوم العرض على الله عز وجل .

وقد قيض الله عز وجل رجال صلاح وتقوى عملوا على كتابة وحفظ سنة نبيه ﷺ ، وتلك من نعم الله الكبرى على الإنسان المسلم ، وماعلى

القائمين على تربية هذا الإنسان إلا العمل على إخراج هذه السنن إلى حيِّز الوجود في شكل مناهج تربوية، ووضعها موضع التطبيق في شكل تربية عملية حية .

ثانيًا : الاعتكاف كما أسلفت سنة مؤكدة ، واظب عليها الرسول ﷺ في حياته بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وقد دَرَست هذه السنة وغيرها من السنن النبوية في حياة الكثير من مسلمي اليوم - إلا من رحم ربي - وذلك لأسباب منها :

أ- ضعف الجانب الإيماني في تلك النفوس .

ب- الإقبال المتزايد على ملذات الحياة الدنيا، وشهواتها ، والذي أدى إلى عدم القدرة في الابتعاد عنها، ولو لفترة بسيطة، وبالتالي شغل الوقت والفكر بها .

ج- اقتصار محبة الرسول ﷺ على الجانب اللفظي دون العملي والذي يتمثل في تطبيق جوانب السنة المحمدية المتعددة، ومنها الاعتكاف .

وفي أمر ابتعاد كثير من الناس عن سنة الاعتكاف أورد (الزحيلي، ١٤٠٥هـ) قول الزهري :

«عجبًا من الناس كيف تركوا الاعتكاف ، ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه وماترك الاعتكاف حتى قبض» ص٦٩٤ .

وقد حاولنا في هذا البحث توضيح أهمية الاعتكاف والحث عليه إحياء لسنة الرسول ﷺمن خلال تبيان جوانبه التربوية .

ثالثًا : الاعتكاف الذي كان يحياه الرسول ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، واقتصرت مدته الزمنية بين تسعة إلى عشرة أيام ، إلا أنها تعتبر بمثابة مدرسة تربوية مستقلة متكاملة تتخللها كثير من أنواع العبادة لله عز وجل ، والتي تعمل على إيقاظ كثير من الجوانب الحياتية في الإنسان ، وجعلها في دائرة واحدة متجهة إلى خالقها عز وجل ، فهي بمثابة دورة تربوية مكثفة لها نتائجها الإيجابية الفورية على حياة الإنسان في أيام وليالي الاعتكاف، ولها أيضًا أثرها الإيجابي على حياة الإنسان فيما يستقبله من أيام خلال حياته، التي يحياها إلى رمضان آخر، فحري بنا أبناء أمة محمد ﷺ العمل بهذه السُنة، والإقبال عليها سنةً بعد سنة، للإفادة من جوانبها المتعددة ، وإحياء لسنة الحبيب محمد ﷺ الذي قال: «من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة» (رواه الترمذي ، كتاب العلم ، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) ج٥، ص٤٦. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وفي هذا الخصوص يقول (الكبيسي، ١٤٠٧هـ) :

«فما أحوجنا معاشر المسلمين وماأشد حاجة الدعاة الربانيين إلى إحياء هذه السنة وإقامتها والتواصي بها وملازمتها على الوجه الصحيح الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإنها السنة الماجدة الشعيرة الراشدة، نأى الناس عنها وابتعدوا ، وجفوها فما رشدوا ، فيافوز المتمسكين بالسنة بعد غفلة الناس وفساد الأمة» ص١١ .

أهداف الدراسة :

هدفت هذه الدراسة إلى مايلي :

١ ـ التعرف على واقع الاعتكاف في القرآن الكريم .

٢ ـ التعرف على واقع الاعتكاف في السنة النبوية المطهرة .

٣ ـ التعرف على حقيقة الاعتكاف من حيث :

أ) أقسامه .

ب) حكمه .

ج) شروطه .

د) أركانه .

هـ) مكانه ، وزمانه .

٤ ـ التعرف على الجوانب التربوية للاعتكاف .

أسئلة الدراسة :

تعمل الدراسة على الإجابة على الأسئلة التالية ؛ بغيةالوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة .

١ ـ ماواقع الاعتكاف في القرآن الكريم ؟

٢ ـ ماواقع الاعتكاف في سنة المصطفى ﷺ ؟

٣ ـ ماحقيقة الاعتكاف بصورة عامة ؟

٤ ـ ماالجوانب التربوية للاعتكاف ؟

منهج الدراسة:

عمل الباحث على استخدام المنهج التحليلي الاستنباطي - الذي يقوم على تفسير النصوص واستخراج مابها من أحكام ومبادىء تتعلق بموضوع البحث - ، وصولاً إلى الإجابات المناسبة لأسئلة الدراسة؛ وذلك بالرجوع إلى القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ ؛ للنظر في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي وردت حول موضوع الاعتكاف، والوقوف على تفسيرها، وشروحاتها في كتب التفسير والحديث، كذلك عمل الباحث على الرجوع إلى كتب الفقه، التي تناولت أحكام موضوع الاعتكاف، وشروطه، وأركانه؛ وذلك لأجل الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، ثم عمد الباحث أخيراً إلى تحليل الموضوع بكل جوانبه، وإخضاعه للنظر العقلي ، بغية استخلاص الفوائد التربوية لموضوع الاعتكاف.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي دراسة تتعامل مع موضوع الاعتكاف من جانبه التربوي.

حدود الدراسة:

تركز الدراسة على الجوانب التربوية في الاعتكاف وتوضيح حقيقة الاعتكاف، دون التعرض للاختلافات المذهبية في العناصر الموضحة لحقيقة الاعتكاف.

معنى الاعتكاف :

في اللغة : هو اللزوم والاحتباس والإقامة. يقول (ابن منظور، د.ت) : «عكف يعكف ويعكف عكفًا وعكوفًا : لزم المكان. والعكوف الإقامة في المسجد» ج٩، مادة (عكف) ص٢٥٤.

وفي الاصطلاح : لزوم المسجد بنية التعبد لله عز وجل، وفيه يقول (الزحيلي، ١٤٠٥هـ) : «هو لزوم المسجد لطاعة الله، على صفة مخصوصة ، من مسلم عاقل ولو مميزًا طاهرًا مما يوجب غسلاً وأقله ساعة» ص٦٩٣.

الاعتكاف في القران الكريم :

ورد الاعتكاف في القران الكريم بمعناه اللفظي في عدة آيات ، منها :

قول الله تبارك وتعالى ﴿ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ سورة الاعراف، آية (١٣٨).

قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾سورة طه، آية (٩١).

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ سورة طه، آية (٩٧).

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ سورة الأنبياء آية (٥٢).

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ سورة الحج، آية (٢٥).

كذلك ورد الاعتكاف في القرآن الكريم بمعناه الشرعي ـ وهو لزوم المسجد من أجل طاعة الله ـ في عدة آيات ، وهي مدار هذا البحث :

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ سورة البقرة، آية (١٢٥).

وفي الآية إشارة إلى أمر الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بأن يطهرا البيت من الأصنام وعبادة الأوثان لمرتادي البيت الحرام من طائفين وعاكفين ومصلين، وقد أورد (ابن كثير، ١٤١٢هـ) قول ابن أبي حاتم قال :

«أخبرنا أبي ، أخبرنا موسى بن إسماعيل، أخبرنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت قال: قلنا لعبد الله بن عبيد بن عمير : ماأراني إلا مكلم الأمير أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام، فإنهم يجنبون ويحدثون قال: لاتفعل ، فإن ابن عمر سأل عنهم ، فقال: هم العاكفون» ج١ ، ص٢٥٥ .

قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ سورة البقرة ، آية (١٨٧).

ورد في (ابن كثير ، ١٤١٢هـ) قوله : «وقال الضحاك: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ أي: لاتقربوهن مادمتم عاكفين في المسجد ولا في غيره» ج١ ، ص٣٣٦.

وفيه حرم الله على المعتكف نكاح النساء ليلاً ونهاراً، وكذلك المباشرة من تقبيل، وضم، وغيره، حتى يتحقق التجرد والانقطاع الكلي من ملذات الدنيا.

الاعتكاف في السنة :

وردت أحاديث عديدة في أمر الاعتكاف بصورة عامة، وسيقتصر الباحث على ثلاثة جوانب في هذه الأحاديث :

أحدها : الأحاديث التي توضح مشروعية الاعتكاف .

ثانيها : الأحاديث التي توضح هديه ﷺ في الاعتكاف .

ثالثها : الأحاديث التي تبرز عدد سنوات الاعتكاف في حياته ﷺ .

أولاً : الأحاديث التي توضح مشروعية الاعتكاف في السنة

وردت أحاديث عديدة توضح مشروعية الاعتكاف ، وأنه من السنن المؤكدة التي واظب عليها الرسول ﷺ - بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وتحديداً بعد أن فُرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة النبوية حتى توفاه الله عز وجل، وكان الهدف الأساسي من اعتكافه ﷺ هو تحري ليلة القدر، والتي هي خير من ألف شهر، فكان بداية اعتكافه أنه اعتكف من بداية الشهر يلتمسها في ليالي رمضان كلها حتى أُري أنها كائنة في العشر الأواخر من رمضان، فاقتصر اعتكافه بعدها على الأيام العشرة ، والليالي الأخيرة من شهر رمضان، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سدتها حصير، قال : فأخذ الحصير بيده فنحاها في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه فكلم الناس، فدنوا منها، فقال : «إني اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أُتيت فقيل لي : إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف

فليعتكف، فاعتكف الناس معه، قال: «وإني أُريتُها ليلة وتر، وإني أسجد صبيحتها في طين وماء». فأصبح رسول الله ﷺ من ليلة إحدى وعشرين، وقد قام إلى الصبح، فمطرت السماء، فوكف المسجد، فأبصرتُ الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر. (أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها) ج٨، ص٣٠٢. ، شرح النووي.

وبعد معرفته ﷺ بأن ليلة القدر زمنها في العشر الأواخر من شهر رمضان كان سبيله إلى ضمان قيام هذه الليلة المباركة هو اعتكافه في العشر الأواخر من هذا الشهر حتى توفاه الله، وبذلك كانت بداية اعتكافه ﷺ.

وفي الحديث السابق فوائد، منها:

١ ـ أن الهدف الأساسي من اعتكافه ﷺ الخلوة إلى الله، والاستعداد الجسمي والنفسي لقيام ليلة القدر؛ وذلك لعلمه بعظم قدر هذه الليلة.

٢ ـ اجتهاده ﷺ في تحريها قبل معرفة وقتها، فبدأ بالعشر الأول، ثم الأوسط، ثم استمراره حتى آخر الشهر حينما أُري أنها في العشر الأواخر، وهي القمة في الاجتهاد طلبًا لليلة القدر، لما عرف من مشقة الاعتكاف وشدة مجاهدة النفس فيه.

٣ ـ متابعة الصحابة رضوان الله عليهم للرسول ﷺ إذ إنهم بدأوا الاعتكاف معه، واستمروا حتى نهاية الشهر، وذلك لشدة تأسيهم به ﷺ.

٤ ـ شفقته ﷺ بأصحابه، فهو يعلم مشقة الاعتكاف، ولذا لما قرر أن يستمر في اعتكافه حتى نهاية الشهر خيَّر أصحابه في الاستمرار معه، أو الانقطاع وذلك في قوله: «فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف».

٥ ـ تحقق رؤيته ﷺ في أمر ليلة القدر.

وفي الحديث عن مشروعية الاعتكاف عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان».

وعن عائشة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده» (أخرجهما البخاري في كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها) ج٤، ص٨٠٥، فتح الباري.

ثانيًا: هديه ﷺ في الاعتكاف

وهديه ﷺ في الاعتكاف كان أكمل هدي، وأيسره، فكان إذا أراد أن يعتكف وضع له سريره وفراشه في مسجده ﷺ، وبالتحديد وراء اسطوانة التوبة كما جاء في الحديث عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ «أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه، أو يوضع له سريره وراء اسطوانة التوبة». (رواه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في المعتكف يلزم مكانًا من المسجد) ج١، ص٥٦٤.

وكان النبي ﷺ يضرب له خباء على مثل هيئة الخيمة، فيمكث فيه في غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية، وكان ذلك في

المسجد ، ومن المتوقع أن يضرب ذلك الخباء على فراشه أو سريره، وذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء ، فيصلي الصبح ، ثم يدخله . . . الحديث». (رواه البخاري ، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف النساء) ج٤ ، ص٨١٠، فتح الباري.

وكان دائم المكث في المسجد لايخرج منه إلا لحاجة الإنسان ، من بول أو غائط ، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : « . . . وكان لايدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفًا ». (رواه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف النساء) ج٤ ، ص٨٠٨، فتح الباري.

وكان ﷺ يُؤتى إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه كما أورد ذلك (سالم١٣٩٩هـ) بقوله : «أما طعامه وشرابه فكان يؤتى به إليه في معتكفه»ص٧٥.

وكان ﷺ يحافظ على نظافته ؛ إذ كان يخرج رأسه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لكي ترجل له شعر رأسه، ففي الحديث عن عروة، عنها رضي الله عنها «أنها كانت ترجل النبي ﷺ وهي حائض، وهو معتكف في المسجد ،وهي في حجرتها، يناولها رأسه». (رواه البخاري ، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف النساء) ج٤ ، ص٨٠٧، فتح الباري.

وفيه يقول (ابن حجر ، ١٤١٤هـ) :

«وفي الحديث جواز التنظيف والتطيب والغسل والحلق والتزين إلحاقًا بالترجل، والجمهور على أنه لايكره فيه إلا مايكره في المسجد » ص٨٠٧.

وكان ﷺ لايعود مريضًا، ولايشهد جنازة؛ وذلك من أجل التركيز والانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل ، ففي الحديث عن عائشة أنها قالت : « كان النبي ﷺ يمر بالمريض وهو معتكف، فيمر كما هو ولايعرج يسأل عنه» . وأيضًا عن عروة أنها قالت : «السنة على المعتكف أن لايعود مريضًا، ولايشهد جنازة، ولايمس امرأة، ولايباشرها، ولايخرج لحاجة إلا لما لابد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولااعتكاف إلا في مسجد جامع» . (رواه أبو داود ، كتاب الصوم، باب المعتكف يعود المريض) ج٢، ص٣٣٣ .

وكان أزواجه ﷺ يزرنه في معتكفه، وحدث أنه خرج ليوصل إحداهن إلى منزلها، وكان ذلك لضرورة؛ إذ كان الوقت ليلاً ، وذلك كما جاء في الحديث عن علي بن الحسين «أن صفية رضي الله عنها أتت النبي ﷺ وهو معتكف، فلما رجعت مشى معها ، فأبصره رجل من الأنصار، فلما أبصره دعاه ، فقال: تعال، هي صفية» . وربما قال سفيان : «هذه صفية، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» قلت لسفيان : أتته ليلاً ؟ قال: وهل هو إلا ليلاً » (أخرجه البخاري ، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه؟) ج٤ ، ص٨١٩، فتح الباري .

فرأى ﷺ أن خروجه معها رضي الله عنها أمر لابد منه في ذلك الليل، فخرج معها من معتكفه؛ ليوصلها إلى بيتها .

وخلاصة القول : إن هديه ﷺ في اعتكافه كان يتسم باليسر ، فقد كان جل وقته مكثٌ في المسجد، وإقبال على طاعة الله عز وجل ، وترقب لليلة القدر .

ثالثًا : سنوات الاعتكاف في حياته ﷺ

عرفنا أن صيام شهر رمضان المبارك قد فرض في السنة الثانية من الهجرة، وأن الرسول ﷺ كانت وفاته يوم الإثنين (١٢) ربيع الأول، سنة (١١) من الهجرة المباركة ، وهذا يعني أن الرسول ﷺ قد صام تسع رمضانات ، وبتتبع حياته الشريفة نجد أنه قد اعتكف ست مرات جاءت كالتالي :

(١) أنه في السنة التي فرض فيها صيام شهر رمضان ، وهي الثانية من الهجرة خرج الرسول ﷺ لغزوة بدر الكبرى، والتي كانت في السابع عشر من الشهر نفسه، وفيها أنه لم يعتكف تلك السنة؛ لدخول العشر الأواخر من ذلك الشهر عند رجوعه إلى المدينة المنورة وانشغاله بأمر الأسرى، والفداء، وفي هذا يقول (شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٣٩٨هـ) :

> «فلما كان ـ رجب وغيره ـ فرض شهر رمضان وغزا النبي ﷺ في شهر رمضان ذلك العام ـ أول شهر فرض ـ غزوة بدر الكبرى ، وكانت يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من الشهر، فلما نصره الله على المشركين أقام بالعرض بعد الفتح ثلاثًا، فدخل عليه العشر وهو في السفر، فرجع إلى المدينة، ولم يبق من العشر إلا أقله، فلم يعتكف ذلك العشر بالمدينة، وكان في عامه منشغلاً بأمر الأسرى والفداء. . . وأحواله المنقولة عنه تدل على أنه لم يعتكف تمام ذلك العشر ، لكن يمكن أنه قضى اعتكافه كما قضى صيامه» ج٢٥، ص٢٩٦ .

فهذا حاله ﷺ في أمر اعتكافه للسنة الأولى من رمضان في حياته .

وكون أنه يمكن أنه قضى اعتكافه كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام، احتمال ضعيف إذا أخذنا في الاعتبار حديث أبي سعيد الخدري الذي أشار فيه إلى أنه ﷺ اعتكف الشهر كله؛ التماسًا لليلة القدر، ثم لما علم أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان استمر على الاعتكاف في تلك العشر، ويمكن اعتبار تلك السنة هي السنة الأولى في اعتكافه، كما سيأتي توضيحه.

(٢) أما السنة الثالثة من الهجرة - والتي وقعت فيها غزوة أحد في شهر شوال من تلك السنة - وهي الثانية لشهر رمضان في حياته، فقد كان رسول الله ﷺ بالمدينة، وهي التي يمكن أن نقول إنها السنة التي بدأ فيها اعتكافه في شهر رمضان، إذ كانت بغيته من اعتكافه التماس ليلة القدر، والتي اعتكف فيها لما ورد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - والذي أشرت إليه آنفًا - وكذلك الحال بالنسبة لرمضان الثالث والرابع والخامس والسادس في حياته ﷺ في مداومته على الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان، إلا أنه في إحدى هذه السنوات ترك الاعتكاف في شهر رمضان، ثم قضاه في شهر شوال، وذلك لما ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء، فيصلي الصبح، ثم يدخله. فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها، فضربت خباء، فلما رأته زينب ابنة جحش ضربت خباء آخر، فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبية، فقال: «ماهذا؟» فأخبر، فقال النبي ﷺ «ألبر ترون بهن؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشراً من شوال». (أخرجه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف النساء) ج٤، ص٨١٠، فتح الباري.

وقد ترك النبي ﷺ الاعتكاف في تلك السنة - والتي لم أجد لها تحديدًا - لثلاث احتمالات، قد يكون أحدها أو جميعها سببًا في تركه الاعتكاف في تلك السنة أورده (ابن حجر العسقلاني، ١٤١٤هـ) بقوله:

«وكأنه ﷺ خشي أن يكون الحامل لهن على ذلك المباهاة والتنافس الناشئ عن الغيرة حرصًا على القرب منه خاصة فيخرج الاعتكاف عن موضوعه، أو لما أذن لعائشة وحفصة أولاً كان ذلك خفيفًا بالنسبة إلى مايفضي إليه الأمر من توارد بقية النسوة على ذلك فيضيق المسجد على المصلين، أو بالنسبة إلى أن اجتماع النسوة عنده يُعد كالجالس في بيته، وربما شغلته عن التخلي لما قصد من العبادة فيفوت مقصود الاعتكاف». ج٤، ص٨١٢.

وقد يكون الاحتمال الأول أقوى سببًا لتركه ﷺ الاعتكاف تلك السنة؛ وذلك لتأكيد الشرع الحنيف على مفهوم الإخلاص في العمل، ولهذا عندما شعر ﷺ أن مقصود بعض أزواجه المباهاة أراد أن يجنبهن ماشاب إخلاصهن، وفي هذا يقول (ابن تيمية، ١٣٩٨):

«فطلب نساؤه الاعتكاف معه، فرأى أن مقصود بعضهن المباهاة فأمر بالخيام فقوضت» ج٢٥، ص٢٩٥.

(٣) أما رمضان السابع في حياته ﷺ، فقد كان من السنة الثامنة من الهجرة النبوية المباركة، وفيه توجه لفتح مكة المكرمة، وذلك لعشر مضين من رمضان، وفي هذه السنة لم يعتكف النبي ﷺ لانشغاله بفتح مكة، وفي هذا يقول (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ):

«وأيضًا فعام الفتح سنة ثمان ـ لم يعتكف ـ كان قد سافر في شهر رمضان ودخل مكة في أثناء الشهر ، وقد بقي منه أقله ، وهو في مكة مشتغل بآثار الفتح ، وتسرية السرايا إلى ما حول مكة ، وتقرير أصول الإسلام بأم القرى ، والتجهيز لغزو هوازن لما بلغه أنهم قد جمعوا له مع مالك بن عوف النضيري ، وقد أقام بمكة في غزوة الفتح تسع عشرة ليلة يقصر الصلاة» ج٢٥ ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ .

ولم يثبت في سيرته ﷺ أنه قضى اعتكافه في رمضان الذي كانت فيه غزوة بدر ، وفي رمضان الذي كان فيه فتح مكة ؛ لعدم تفرغه للاعتكاف في هاتين السنتين ، كما ثبت في قضائه الاعتكاف في السنة التي تركها عندما أراد بعض أزواجه الاعتكاف معه ، لكن احتمال قضائه لاعتكافه ـ خاصة عام الفتح ـ وارد من عدة وجوه :

الأول : مداومته على الاعتكاف .

الثاني : أن الرسول ﷺ إذا عمل عملاً كان يحب أن يداوم عليه .

الثالث : إمكانية قضائه لاعتكافه كما قضى صيامه ، وهذا الذي رجحه ابن تيمية ج٢٥ ، ص٢٩٦ .

(٤) وأما رمضان الثامن والتاسع في حياته ﷺ فقد كان بالمدينة المنورة ، وقد اعتكف فيهما كعادته ، إلا أنه في رمضان الأخير من حياته اعتكف عشرين يومًا ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرون يومًا» (أخرجه البخاري ، كتاب الاعتكاف ، باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان) ج٤ ، ص٨٢٢ فتح الباري .

وقد أورد (ابن حجر العسقلاني، ١٤١٤هـ، ص٨٢٢) في شرح هذا الحديث عدة أسباب لاعتكافه ﷺ عشرين يومًا في آخر رمضان في حياته على غير عادته في سُنّة اعتكافه، منها:

أ) رغبته ﷺ في الاستكثار من الطاعة، وزيادة القرب من المولى الكريم؛ لعلمه بدنو أجله، ولبيان ذلك لأمته في الاجتهاد في الطاعات إذا بلغوا مرحلة متأخرة من أعمارهم.

ب) معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ بالقرآن الكريم مرتين في تلك السنة، فاعتكف قدر اعتكافه مرتين؛ لأن جبريل عليه السلام كان يعارض الرسول الله ﷺ بالقرآن مرة كل سنة.

ج) أنه لما ترك الاعتكاف بسبب أزواجه اعتكف عشرين يومًا في العام الذي يليه، وإن قضاه ﷺ في شوال؛ وذلك حتى يتحقق قضاء العشر في رمضان، وهذا قول ابن العربي.

د) أنه اعتكف في تلك السنة عشرين يومًا؛ لأنه كان مسافرًا في السنة التي قبلها.

والباحث يرجح السببين: الأول والثاني على الثالث والرابع، وذلك لمنطقية الأول في كون أنه على الإنسان المسلم أن يكون في طاعة مستمرة خاصة عند دنو الأجل، ووصول الإنسان مرحلة متأخرة من العمر حتى يختم له بخير، وأما السبب الثاني؛ فلواقعيته إذ إنه ثبت ـ كما أشرت إليه آنفًا ـ أن جبريل عليه السلام عارض الرسول ﷺ بالقران مرتين في السنة التي قبض فيها، وبالتالي فإن المعارضة مرتان تحتاج إلى وقت أطول.

وأما عدم ترجيح السبب الثالث والرابع فإنه لم يثبت بالتحديد السنة التي ترك فيها الرسول ﷺ الاعتكاف بسبب أزواجه، فالحديث هنا عن السنة العاشرة من الهجرة ، وهو تاسع رمضان في حياته ﷺ ، فلم يرد في كتب السنة والسيرة مايشير إلى أنه ترك ذلك الاعتكاف في السنة التاسعة من الهجرة، وثامن رمضان في حياته ﷺ ، وقد ورد صريحًا أنه قضى اعتكافه في شوال من تلك السنة، ولم يؤخره إلى رمضان .

وأما السبب الرابع فكتب السيرة تشير إلى أن الرسول ﷺ كان بالمدينة السنة التاسعة من الهجرة ، وهو ثامن رمضان من حياته ﷺ ، حيث رجع من غزوة تبوك في رمضان، والتي خرج إليها في رجب من تلك السنة (المباركفوري، ١٤٠٠) ص٤٩١ .

وكان ﷺ قد أمضى شطرًا من رمضان في طريق عودته من تبوك، إلا أنه كان بالمدينة الجزء الأخير من شهر رمضان تلك السنة؛ إذ يقول (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ) نقلاً عن ابن إسحاق : «ثم أقام رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك بقية رمضان وشوالاً وذا القعدة» ج٣، ص٥٩٣ .

وقد يكون انشغاله بالوفود التي قدمت المدينة المنورة في تلك السنة بعد عودته من تبوك مانعًا من الاعتكاف في تلك السنة؛ إذ يقول (ابن كثير ١٤٠٩هـ) نقلاً عن ابن إسحاق «و قدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد من ثقيف» ج٥ ، ص٢٦ .

وإذا سلمنا بعدم اعتكافه ﷺ في تلك السنة ، فإنه لم تكن عادته إرجاء

قضاء اعتكافه إلى رمضان آخر؛ بل كان يبادر به كما فعل في قضاء اعتكافه الذي كان مع أزواجه في شهر شوال. وعليه يمكن القول أن الرسول ﷺ قد اعتكف ست مرات في حياته جاءت على النحو التالي:

* أنه مرت عليه في حياته ﷺ تسع رمضانات من السنة الثانية للهجرة، وهي أول سنة فرض فيها الصيام، وحتى السنة العاشرة من الهجرة.

* انشغل ﷺ عن اعتكافه في ثلاث رمضانات بغزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، وبفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وبالعودة من تبوك، واستقبال الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وترك ﷺ الاعتكاف في رمضان في إحدى السنوات بسبب أزواجه وقضاه في شوال.

* فهذه أربع رمضانات لم يتمكن فيها الرسول ﷺ فيها من الاعتكاف في رمضان، ثبت قضاؤه لواحدة منها، وأما الثلاثة الباقيات فقد يكون قضاها كما كان يقضي الصيام لحبه ﷺ المداومة على طاعة ربه عز وجل. وقد يكون تركه الاعتكاف كما يقول (سالم، ١٣٩٩هـ): «كما أنه ﷺ ترك الاعتكاف سنة فقضاه في شوال السنة نفسها وفي العشر الأواخر أيضًا، وقد يكون تركه في أسفاره لبدر أو لمكة أو عودته من تبوك». ص٧٣.

ويتأكد بذلك اعتكافه في الخمس رمضانات المتبقية من التسع التي مرت عليه في حياته ﷺ، وبذلك يتضح أنه اعتكف ﷺ خمس مرات في رمضان، وواحدة في شهر شوال.

(حقيقة الاعتكاف)

من حيث

(مقاصده، وأقسامه، وحكمه، وشروطه، وأركانه، ومكانه،وزمانه، ومحظوراته)(*)

وسيتناول الباحث حقيقة الاعتكاف بصورة عامة على النحو التالي :

(١) مقاصد الاعتكاف :

(أ) تحري ليلة القدر .

(ب) الخلوة بالله عز وجل ، والانقطاع عن الناس ماأمكن حتى يتم أنسه بالله عز وجل وذكره .

(ج) إصلاح القلب، ولم شعثه بالإقبال على الله تبارك وتعالى بكليته .

(د) الانقطاع التام إلى العبادة الصرفة من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن .

(هـ) حفظ الصيام من كل مايؤثر عليه من حظوظ النفس والشهوات .

(و) التقلل من المباح من الأمور الدنيوية ، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها .

---

* أشرت في حدود الدراسة أنني لن أتعرض للمسائل الفقهية المختلف فيها، والتي جرت حول موضوع الاعتكاف، إنما يتم التركيز على الجوانب الأساسية في موضوع الدراسة .

(٢) أقسام الاعتكاف :

أ- واجب : ولايكون إلا بنذر، فمن نذر أن يعتكف وجب عليه الاعتكاف ، فقد قال ﷺ : «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه». وفي الحديث أن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر سأل النبي ﷺ قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. قال: «أوف بنذرك». (أخرجه البخاري ، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف ليلاً) ج٤، ص٨٠٩، فتح الباري .

ب- مندوب : وهو ماكان من دأب النبي ﷺ في اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان ، ومحافظته على هذا الأمر، وهو سنة مؤكدة من حياته ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث التي أشير إليها عند الحديث عن مشروعية الاعتكاف .

(٣) حكم الاعتكاف :

سنة مؤكدة داوم عليها الرسول ﷺ ، وقضى بعض مافاته منها، ويقول في ذلك: (عزام، ١٣٩٧هـ) :

«والمسنون ماتطوع به المسلم تقربًا إلى الله، وطلبًا لثوابه اقتداء برسول الله ﷺ ، فقد ثبت أنه فعله وداوم عليه» ص١١٤ .

(٤) شروط الاعتكاف :

يشترط للاعتكاف شروط، هي :

أ)- الإسلام : إذ لايصح من كافر ، وكذلك المرتد عن دينه .

ب)- التمييز : إذ لايصح من صبي غير مميز .

ج)- الطهارة من الحدث الأكبر (من جنابة ، وحيض ، ونفاس) وإن طرأت مثل هذه الأمور على المعتكف أثناء اعتكافه وجب عليه الخروج من المسجد ؛ لأن مكثه على حالته هذه في المسجد حرام .

د)- أن يكون في مسجد : والأفضل أن يكون الاعتكاف في مسجد جامع تقام فيه الجمعة ، حتى لايضطر إلى الخروج من مسجده لأجل صلاة الجمعة .

(٥) أركان الاعتكاف :

أ)- النية : وهو أمر ضروري ، وفيه إخلاص العمل لله عز وجل وحده ، وهو كذلك في سائر الأعمال ؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه» (أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) ج١ . ص١٥ ، فتح الباري .

ب)- المكث في المسجد : وذلك في قوله تعالى ﴿**وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ سورة البقرة ، آية (١٢٥) وفي هذا تأكيد على أن مكان الاعتكاف هو المسجد ، ودل على ذلك أيضًا فعل الرسول ﷺ ومن بعده أزواجه وصحابته رضوان الله عليهم ففي الحديث عن يونس بن زيد أن نافعًا حدثه عن عبد الله بن عمر رضي

الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان. قال نافع: وقد أراني عبد الله رضي الله عنه المكان الذي كان يعتكف فيه رسول الله ﷺ من المسجد» (أخرجه مسلم، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان) ج٨، ص٣٠٨، المنهاج.

(٦) مكانه وزمانه وبداية وقته:

مكان الاعتكاف المسجد كما دلت عليه الآية في قوله تعالى ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ البقرة، آية (١٨٧).

ولأن الرسول ﷺ وأزواجه وصحابته رضوان الله عليهم اعتكفوا في المساجد، ولم يرد عن أحد منهم أنه اعتكف في غير المسجد.

وأما بالنسبة لزمانه فإذا كان في رمضان فآكد وقته العشر الأواخر منه، ويجوز في أي وقت في رمضان وغيره، فهو لايختص بزمن معين؛ لأنه أمر مستحب في جميع الأوقات، وخاصة إذا ألزم نفسه بنذر، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر سأل النبي ﷺ قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. قال: «أوف بنذرك» (أخرجه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف ليلاً) ج٤، ص٨٠٩، فتح الباري.

وأما بالنسبة لبداية وقته فقبل غروب الشمس لمن أراد أن يعتكف يومًا وليلة أو أكثر.

(٧) محظورات الاعتكاف :

أ)- الخروج من المسجد : يبطل الاعتكاف إذا خرج المعتكف من المسجد لغير حاجة؛ لأن الرسول ﷺ لم يكن يخرج من المسجد إلا لحاجة الإنسان، وهي حاجته إلى الطعام إن لم يكن بالإمكان أن يؤتى إليه بالطعام، كما كان يؤتى بطعام رسول الله ﷺ إلى المسجد إذ يقول (سالم، ١٣٩٩هـ) : «فأما طعامه وشرابه فكان يؤتى به إليه في معتكفه» ص٧٥ .

وكذلك خروجه للتطهر من الحدث الأصغر، والوضوء لحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل علي رأسه وهو في المسجد فأرجله، وكان لايدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفًا» (أخرجه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب لايدخل البيت إلا لحاجة) ج٤، ص٨٠٨، فتح الباري .

ب)- مباشرة النساء : ومنها الجماع، فهذا الأمر يبطل الاعتكاف؛ لورود النهي عنه صريحًا في قوله تعالى ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ سورة البقرة، آية (١٨٧) .

ج)- الحيض والنفاس : فإذا حاضت المرأة المعتكفة أو نفست وجب عليها الخروج من المسجد ؛ وذلك للمحافظة على طهارة وقدسية المسجد ، وكذلك الجنب حتى يغتسل .

د)- قضاء العدة : وذلك إذا توفي زوج المعتكفة وهي في المسجد وجب عليها الخروج لقضاء العدة في منزلها .

هـ)- الردة : حيث إن من شروط الاعتكاف الإسلام، فيبطل اعتكاف المرتد .

الجوانب التربوية للاعتكاف

تمهيـــد :

يمكن القول إن أي تربية يراد لها النجاح لابد وأن يكون هناك توافق بين الجانب النظري لتلك التربية ، وبين الجانب التطبيقي لها ؛ أي لابد أن توضع الجوانب النظرية موضع التطبيق ، وبذلك يكون النجاح والاستمرارية لتلك التربية .

وتربيتنا الإسلامية نجد أنها تتسم بالضعف في واقعنا المعاصر ، ولذلك كثرت النداءات من المصلحين بالعمل على الاهتمام بهذه التربية، والعمل على تقويتها ، ولا شك أن هناك الكثير من الأسباب التي أدت إلى ضعف هذه التربية في واقعنا المعاصر ، إلا أننا نستطيع أن نرجع كل تلك الأسباب ونحصرها في سبب واحد ألا وهو ضعف الجانب الإيماني في النفوس، وهو الجانب الذي كان سببًا في قوة التربية الإسلامية في صدر الإسلام، في مرحلة خير القرون، حين ارتفع مؤشر الإيمان في النفوس في تلك المرحلة فارتفعت راية التربية الإسلامية خفاقة في الواقع المعاش لتلك المراحل التي مرت بها التربية الإسلامية . . وعندما تدنى مؤشر الجانب الإيمان في النفوس المسلمة اهتزت راية التربية الإسلامية في الواقع المعاش للمرحلة المعاصرة، وكان من الأسباب الرئيسة في ازدهار التربية الإسلامية في ذلك الوقت ، هو التطابق الفعلي بين الجانب النظري

ـ إذا جاز لنا التعبير في أن نقول: إن القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ يمثلان الجانب النظري ـ وبين الجانب الحياتي للأفراد في تلك المرحلة... ذلك أنهم وضعوا توجيهات الجانب النظري موضع التطبيق، فكانوا لايتجاوزون في تعلمهم القرآن الكريم عن عشر آيات حتى يتعلموا مافيها من أحكام وتوجيهات، بل ويعملوا بها بصورة واقعية في حياتهم حتى أنهم تعلموا القرآن والعلم والعمل جميعًا... وقد رأينا في بداية هذا البحث كيف كان حالهم في الاتباع المباشر والتلقائي لسنة الرسول ﷺ، ولم يكونوا ليقفوا لحظة واحدة في السؤال: هل هذا الأمر أو ذاك واجب أم مستحب؟

وعندما تدنى مؤشر الجانب الإيماني في النفوس وخاصة في واقعنا المعاش، حصل التفلت الرهيب في التطبيق، والعمل بتوجيهات الجانب النظري لهذه التربية، فكانت النتيجة ضعف هذه التربية وهوانها على كثير من الناس إلا من رحم الله، وإلى الله المشتكى.

وعليه إذا أردنا العمل على إحياء التربية الإسلامية فعلينا إحياء الجانب الإيماني في النفوس؛ وذلك بزيادة الجرعات الإيمانية في مناهج التعليم، وفي حلق العلم في المساجد، وفي المواعظ والندوات وخطب الجمعة، وفي وسائل الإعلام من خلال إحياء هذا الجانب في نفوس الناشئة والأفراد، نعمل على تحبيب العمل بما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، إذ إن في كل آية قرآنية، وفي كل حديث نبوي توجيهات ومبادئ تربوية.

والاعتكاف يؤديه عادة فئة الشباب والشيوخ، وقد يدخل بينهما فئة الصغار للتدريب عليه. . والمعتكف من فئة الشباب والشيوخ عادة ما تكون تربيتهم قد وصلت إلى مرحلة معينة من النضج، إلا أن ذلك لايعني أن تربيتهم قد وصلت إلى درجة الكمال أو شبه الكمال، ففي واقعنا المعاصر وتبعًا لتدني الجانب الإيماني في النفوس نجد الكثير - إلا من رحم الله - بحاجة إلى إعادة تربية . . . ذلك أن تربيتنا لأنفسنا وأبنائنا تربية إسلامية تدخل ضمن دائرة العبودية لله عز وجل إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر، آية (٩٩).

وفي موضوع الاعتكاف الذي كان يغطي ١/ ٣٦ من أيام السنة في حياة الرسول ﷺ نجده قد اشتمل على تطبيقات تربوية لكثير من الأمور التي يدعو إليها الإسلام، ولكي يُؤتي الاعتكاف أثره التربوي في حياة الإنسان المسلم لابد لهذا الإنسان أن يعرف ماهية الاعتكاف، ومقاصده، ومعرفة كيف يجب عليه أن يعيش الاعتكاف كما كان يعيشه الرسول ﷺ . وقد لاتأتي الجوانب التربوية للإعتكاف في حياة الإنسان المسلم من أول اعتكاف له، بل لابد له من الاستمرارية في الاعتكاف سنة بعد سنة على قدر استطاعته حتى تستقيم النفس المسلمة بتحقيق جوانب الاعتكاف التربوية فيه والتي تتمثل في الآتي :

(١) تطبيق مفهوم العبادة بصورتها الكلية:

يؤصل الاعتكاف في نفس المعتكف مفهوم العبودية الحقة لله عز وجل، ويدربه على هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الإنسان، إذ يقول

الحق تبارك وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ، آية (٥٦) حيث إن المعتكف قد وهب نفسه كلها ووقته كله - المراد الاعتكاف فيه - متعبدًا لله عز وجل، فالإنسان في حياته العامة عادة ماتتخلله كثير من العادات وكثير من الوقت الذي قد يحسب عليه إن لم يكن في مرضاة الله . . . وقد لايحسب عليه سلبًا أو إيجابًا إن كان في أمور مباحة لم ينو بها طاعة الله عز وجل، وفي هذا المدار تسير حياته، ويعيش كثيراً من ساعات الغفلة وخاصة في زمننا المعاصر الذي كثرت فيه المغريات والصوارف عن طاعة الله عز وجل.

فالمعتكف بادئ ذي بدء نجد أنه ينوي الاعتكاف مخلصًا لله عز وجل، ويبدأ ذلك بلزومه المسجد من أجل طاعة ربه ، ويكون شغله الشاغل في زمن الاعتكاف هو مرضاة الله عز وجل ، فهو يشغل بدنه وحواسه ووقته من أجل هذا الأمر بالصلاة - من فرض ونفل - وبالدعاء ، وبالذكر، وبقراءة القرآن الكريم، وغير ذلك من أنواع الطاعات، ويبتعد في نفس الوقت عن أي صارف لهذه الطاعة ، فيبتعد عن مجالس الكلام المباح، وإن تكلم مع أخيه ففي حدود الحاجة، وفي مدار طاعة الله عز وجل، وبذلك يتحقق في واقعه مفهوم العبادة لله عز وجل التي عرفها (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ) بقوله :

«العبادة : هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . . . فالصلاة ،والزكاة، والصيام، والحج ، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان

للجار واليتيم، والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر والحكمة، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة لله». ص٤ .

وبهذه الدربة في مثل أيام العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك يتربى المعتكف على كيفية تطبيق مفهوم العبودية لله عز وجل في حياته العامة والخاصة، ويضع موضع التطبيق قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ الأنعام، آية(١٦٣). وفيه يقول القرطبي ، ١٤٠٨هـ: «محياي» أي: ما أعمله في حياتي ، «ومماتي» أي: ما أوصي به بعد وفاتي ، «لله رب العالمين» أي: أفرده بالتقرب بها إليه» ج٧، ص٦٩ .

فالحياة كلها لله عز وجل ، ويستطيع الإنسان عن طريق توجيه النية والقصد لله تبارك وتعالى أن يجعل الحياة بما فيها من أمور تعبدية صرفة كالصلاة والصيام والزكاة ، ومن أمور مباحة قد اعتاد عليها في دائرة العبودية لله عز وجل . ففي حياة المعتكف نجد أن تناوله طعامه عبادة، وفي نومه عبادة ، وفي قضائه لحاجاته المختلفة عبادة يؤجر عليها على مدار الأربع والعشرين ساعة التي يحياها في اليوم والليلة ؛ لأنه قد أوقف وقته هذا لله عز وجل فتحقق بذلك مفهوم العبودية الشاملة لله عز وجل .

وبعد انقضاء وقت الاعتكاف يجتهد المعتكف قدر استطاعته ليجعل حياته العامة والخاصة في دائرة العبادة، وذلك بتوجيه القصد في أن ما يقوم به من أعمال مباحة من تناول طعام ، وترفيه بريء عن الأبناء، ونوم مبكر في الليل من أجل القيام أو أداء صلاة الفجر جماعة، ومؤانسة للزوجة ،وصلة الأرحام ، وزيارة الأصدقاء، وإنجاز مايطلب منه من عمل في دائرة وظيفته. . كل هذا وغيره قصد به مرضاة الله عز وجل وطاعته ، وفي هذا يقول (الأشقر، ١٤١١هـ) :

«ولم يفطن كثير من الناس أن النية هي المحول العجيب، إلا أنها لاتحول الجماد إلى نوع آخر من الجماد، ولكنها تحول الأعمال العادية التي تضمحل وتزول بمجرد الانتهاء منها إلى أعمال باقية خالدة، فالطعام والشراب والنكاح كل ذلك زائل ذاهب، فإذا قصد العبد به نية صالحة، كأن ينوي التقوي بالطعام والشراب على طاعة الله، وكأن يعفّ نفسه عن الزنى بالنكاح، ويطلب الولد الصالح الذي يعبد الله ويجاهد في سبيله، فإن هذه الأعمال تتحول إلى أعمال باقية صالحة، يقول الرسول ﷺ : «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة»(١) . فالإنفاق بنية الاحتساب يتحول إلى صدقة يدخر لصاحبها أجرها وثوابها» ص١٠٢ .

وبهذا التوجه في النفس الإنسانية المسلمة تستقيم هذه النفس في

---

(١) (أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ماجاء: إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ مانوى) ج١ ، ص١٨٥ ، فتح الباري.

حياتها كلها، وإذا كثر عدد الأفراد من هذه النوعية في أي مجتمع إسلامي استقام ذلك المجتمع أيضًا.

(٢) تحري ليلة القدر:

وهو المقصد الرئيسي من اعتكافه ﷺ إذ بدأ اعتكافه أول مرة الشهر كله تحريًا لهذه الليلة المباركة، فلما علم أنها تكون في العشر الأخيرة من شهر رمضان اقتصر اعتكافه على هذه العشر المباركة.

ولهذه الليلة أهمية كبرى في واقع الدين الإسلامي، وتتجلى هذه الأهمية في إفراد الحق تبارك وتعالى سورة كاملة لها في القرآن الكريم، إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)**﴾. القدر.

وتأتي أهمية هذه الليلة في السنة النبوية في اجتهاده ﷺ في تحريها في كل رمضان وكما أوضحناه سابقًا.

يكدح الإنسان في حياته من رمضان إلى رمضان اثني عشر شهراً بأيامها ولياليها، ويبقى الإنسان المسلم في عملية أخذ وعطاء في ميدان الطاعة والمعصية، ويغفل القلب في كثير من الأحيان عن ميدان الطاعة، وتتفلت جوارح الإنسان في الخطايا، وتتكاثر الذنوب على كاهل هذا الإنسان من حيث يدري ولا يدري، وفي واقع الإنسان المسلم الحصيف نجده مستغفراً منيبًا إلى ربه عند درايته بوقوعه في المعصية

والخطأ، وهذه من سمة الإنسان ؛ لقوله ﷺ : «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» (أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٤٩) ج٤ ص٦٥٩، وقال الترمذي : غريب).

وتبقى بذلك الخطايا التي لم يعلم بها ، ولكن هذا الواقع لايتوافر في حياة الكثير من مسلمي اليوم ، الذين يعيشون في عصر سمته الغفلة عن مرضاة الله عز وجل ، وذلك لكثرة صوارف وشواغل الدنيا ، وكثرة الملهيات والمنكرات ، التي أصبحت في عرف هذا العصر من المعروف . كل هذا يستوجب على الإنسان تحين الفرص التي يقف فيها لمحاسبة النفس، والتخلص قدر الاستطاعة من تراكم الذنوب.

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان المسلم أن أوجد له مواسم للطاعات يتقرب فيها الإنسان إلى ربه عز وجل ، وتحط عنه من خلال هذا التقرب تلك الخطايا والمعاصي ، ومن هذه المواسم شهر رمضان، وأخص ما في هذا الشهر هو ليلة القدر ، إذ يقول الرسول الكريم ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » . (أخرجه البخاري ، كتاب فضل ليلة القدر ، باب ليلة القدر) ج٤ ، ص٧٨٤ ، فتح الباري .

ومحاسبة النفس في تقصيرها مع ربها من الأمور المهمة في التربية الإسلامية ؛ ذلك أن هذه التربية لاتعد الفرد للحياة الدنيا فقط ، وإنما تأخذ في الاعتبار الحياة الآخرة بصورة رئيسية لفوز الفرد برضا ربه ودخول جناته في نهاية الأمر.

ففي الاعتكاف فرصة دورية للمعتكف لمراجعة حياته السنوية السابقة، وتأمل ما عمل فيها من خير ، وعقد النية على الثبات على هذا الخير والاستكثار منه ، وتأمل ما عمل فيها من سوء ، وعقد النية على عدم الرجوع إليه، والتوبة والندم عليه، والتضرع إلى الله العلي القدير أن يعفو عنه ويغفر له ، وخاصة في ليلة القدر ، والتي هي كلها سلام من غروب الشمس وحتى طلوع فجر تلك الليلة ، وأولى الناس بشهود ليلة القدر من بداية وقتها وحتى انتهائه هو المعتكف ؛ لأنك تجده قابعًا في مسجده في ذلك الوقت ذاكرًا لله في جميع أحواله بمختلف أنواع الذكر متحريًا هذه الليلة المباركة.

وشعور الإنسان المسلم بمغفرة الله عز وجل له ، وأنه قد تخفف من كثير من الذنوب التي أزيحت عن كاهله يعطيه نوعًا من الدافعية للانطلاق في طاعة الله عز وجل ،ومرضاته في أعماله المختلفة ،وفي عمارة الأرض؛ لاستخلاص الطاقة المادية المكنونة فيها ، لكسب المزيد من الحسنات التي تثقل به موازينه يوم العرض على الله عز وجل.

(٣) تعود المكث في المسجد :

الأصل في الإنسان المسلم أن يكون قد تعود المكث في المسجد من خلال تربيته الإسلامية التي نشأ عليها ـ فمن الأمور التي تحرص عليها تربيتنا الإسلامية تعويد الأطفال منذ بلوغهم سن السابعة الصلاة في المسجد ، وتحبيب هذا الأمر إلى نفوسهم بشتى الطرق والوسائل المادية والمعنوية، غير أنه في عصر الغفلة الذي نعيشه نجد كثيرًا من الأسر غفلت عن هذا الأمر بالرغم من أهميته، ويؤدي واقع الكثير من الآباء والإخوة

الذكور في الأسرة في إهمالهم لأمر صلاة الجماعة في ـ المسجد ـ دوراً مهماً في تساهل الآخرين من الناشئة في هذا الأمر بعدم محافظتهم عليها .

وفي واقع الأسرة الملتزمة فإن مفهوم المسجد يُقدّم إلى الطفل قبل سن السابعة، ذلك أن الطفل بعد بلوغه سن الرابعة وبلوغه مرحلة الإدراك يلاحظ تزامن خروج الأب والإخوة الذكور من المنزل مع سماعه للأذان فيتساءل: إلى أين هم ذاهبون ؟ فيجاب بأنهم ذاهبون إلى المسجد ، ثم يسأل: لماذا ؟ فيجاب: إنهم ذاهبون لأداء الصلاة . ثم يسأل: ولما لايصلون في المنزل كما تصلي أمه وأخواته ؟ فيجاب بأن الذكور يجب عليهم الصلاة جماعة في المسجد، ثم يسأل : وماهو المسجد ؟ فيقرب المسجد إلى ذهنه بتقديم صورة للمسجد ، أو الإشارة إليه في الرائي حين تأتي صورة المسجد، أو غير ذلك من الوسائل.

كل هذا يوجد نوعًا كبيراً من الشوق في نفس الطفل للذهاب إلى المسجد . وفي واقع مثل هذه الأسر قد يؤخذ الطفل إلى المسجد للمشاهدة والتعرف وحثه على الجلوس بصورة هادئة في أحد أركان المسجد ، ثم بعد ذلك للصلاة مع تعليمه آداب حضور المسجد ، وبذلك يتم تحبيب أمر المسجد إلى واقع الطفل فينشأ وهو محب لبيوت الله .

وفي واقعنا المعاصر نجد ـ كما أشرت سابقًا ـ إهمال الكثير من الأسر توجيه الأبناء لأداء الصلوات المكتوبة مع الجماعة في المسجد ،ونجد البعض الآخر من الأسر يعمل على توجيه الأبناء لأداء الصلوات مع الجماعة في المساجد عن طريق الضرب والإلزام القاسي ، فينشأ الأول غير مبال بأمر المسجد ،وينشأ الآخر كارهًا للمسجد، وذلك لارتباط خروجه إلى المسجد

بالضرب والقسوة ، والنتيجة إعراض عن أداء الصلاة في المسجد ، لذلك ليس بغريب أن تشاهد نفرًا من الكبار من أصحاب المحلات التجارية يتفلتون في الشوارع المحيطة بالمسجد عند مرور رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتذكيرهم بالصلاة ، وليس بغريب أيضًا أن تشاهد وأنت في طريقك إلى المسجد فئات من الشباب وهم جلوس على قارعة الطريق أو انشغالهم بلعب كرة القدم، والصلاة تكاد أن تقوم أو هي قائمة بالفعل . . . وكل ذلك بسبب الأساليب الخاطئة التي استخدمتها الأسر في تربية أبنائها في هذا المجال.

والتعود على الصلاة في المساجد والمكث فيها أمر تعبدي يجب فيه اتباع أساليب الترغيب المختلفة، والبعد عن القسوة والعنف فيه مع الدعاء بالتوفيق من الله عز وجل من قبل الوالدين ،وهو أمر مهم جدًا، وطلب العون من الله في ذلك الأمر.

وفي الاعتكاف تدريب وتربية للنفس على تعود المكث في المساجد الذي له أهميته في حياة الإنسان المسلم، فالمعتكف قد ألزم نفسه البقاء في المسجد مدة معينة، وفي شهر رمضان عادة ماتكون مابين تسع إلى عشر ليال يقضي وقته كله في مرضاة الله عز وجل، وقد لاتقبل النفس الإنسانية مثل هذا القيد في بداية أمر الاعتكاف، ولكن عدم القبول هذا عادة مايتبدد سريعًا لما تلقاه النفس المسلمة من راحة وطمأنينة في بقائها في بيت الله ، ذلك أن المعتكف يقضي جل وقته في ذكر الله تعالى، وهذا مدعاة لوجود هذه الراحة والطمأنينة لقول الحق تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد ، آية (٢٨). ومعرفة

المعتكف بأهمية بقائه في المسجد أثناء اعتكافه، وبالتالي المبادرة إلى المسجد قبل الأذان أو بعده يجعله يحرص على هذا الأمر في حياته بصورة مستمرة لأهميته التي تتجلى في الأمور التالية:

(أ) أن الرجل الذي يمكث في المسجد قد أحب المسجد من قلبه، وعرف قدر بيوت الله عز وجل، وهذا الحب له قيمته عند الله عز وجل؛ إذ يجعله من الفئات التي يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». (أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد) ج٢ص٣٦١، فتح الباري.

(ب) أن الذي يمكث في المسجد ينتظر الصلاة له أجر صلاة، وأن الملائكة تستغفر له، ففي الحديث الذي أورده أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه مالم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لايزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، لايمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة» (أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل الصلاة) ج٢ص٣٦٠، فتح الباري

وفي الحديث إشارة واضحة إلى عظم الأجر والثواب مع قلة العمل في الأيام العادية، إذ يتحدد الوقت الذي يمكن الإنسان المسلم الملتزم بعدد قليل من الساعات ، فكيف بأيام الاعتكاف ولياليهن؛ إذ يتضاعف ذلك الأجر والثواب والاستغفار من الملائكة إلى حد لايعلمه إلا الله عز وجل، وقد أورد (الفوزان، ١٤١٤) تعليق ابن عبد البر على الحديث السابق إذ يقول :

«هذا الحديث من أفضل مايروى في فضل المنتظر للصلاة ؛ لأن الملائكة تستغفر له، وفي استغفارهم له دليل على أنه يغفر له - إن شاء الله - ألا ترى أن طلب العلم من أفضل الأعمال ، وإنما صار كذلك - والله أعلم - لأن الملائكة تضع أجنحتها له بالدعاء والاستغفار» ص٤١ .

(ج) فرح الله عز وجل باتخاذ المؤمن المسجد موطنًا يقصد الله فيه ويذكره، وهذه من النعم الجليلة من الله الجليل عز وجل على هذا العبد الفقير، ويفرح به مولاه عند ارتياده لبيوته، واتخاذه لها مكانًا للذكر والعبادة، ذلك أن المساجد في الأصل هي لله عز وجل؛ إذ يقول تبارك وتعالى ﴿ **وأنَّ المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**﴾ الجن، آية (١٨).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ماتوطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم». (رواه ابن ماجه ، كتاب الصلاة والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة) ج١ ص٢٦٢

ومعرفة هذه الفضائل ضرورية بالدرجة الأولى للمعتكف إذ إنها تعطيه دافعًا للاستمرار في اعتكافه بجد واجتهاد في طلب رضا الله عز

وجل، وهو على علم أنه سيكون في ظل الله عز وجل يوم القيامة إن شاء الله ، وأنها من ثمرات حب المساجد والمكث فيها، وهو على علم بأنه يكتب أجر صلاة، وإن لم يكن مصليًا، وأن الملائكة تستغفر له، وفوق كل هذا ترحيب الله عز وجل وفرحه به، فالعلم بهذه القربات تجعله يتمسك بلزوم المساجد بعد اعتكافه قدر استطاعته حتى تستمر له هذه الحسنات والأجور.

(٤) البعد عن الترف المادي والزهد فيه :

فتحت الدنيا على كثير من مسلمي اليوم، وتوفرت وسائل الراحة المختلفة التي كلما أخلد إليها الإنسان ازداد في طلبها ، وبذلك عملت وسائل الراحة هذه في زيادة الغفلة في حياة الإنسان المسلم ، ويشعر في كثير من الأحيان أن وسائل العيش المترف أمر أساسي في حياته لايستطيع أن يتخلى عنه.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، إذ كان راضيًا من الدنيا بالكفاف ، وهو الذي « كان يعطي عطاء من لايخشى الفقر ، ويتمتع بالطيبات متى تيسرت من غير سرف ولامخيلة، ليوضح لأمته حقيقة الزهد لتستن به فيه؛ لأنه إمام الزاهدين وقدوة المؤمنين ورحمة الله على العالمين» (الحداد ، ١٩٩٦م) ج١ص٥٠٦ . فقد زهد ﷺ زهدًا حقيقيًا في جميع جوانب حياته. . . ففي عيشه ﷺ تقول عائشة رضي الله عنها : «ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض» (رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا) ج١٣ ص٦٨ ، فتح الباري

وفي إدامه يقول جابر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سأل أهله الأُدم فقالوا: ماعندنا إلا خل. فدعا به فجعل يأكل به ويقول: «نعم الأُدم الخل، نعم الأُدم الخل» (رواه مسلم، كتاب الأطعمة، باب فضيلة الخل والتأدم به) ج١٤، ص٢٣٥ شرح النووي

وفي مسكنه ﷺ في الحديث الطويل الذي يرويه عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول: «... فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف، فسلمت عليه... إلى أن قال: فجلست حين رأيته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته، فوالله مارأيت فيه شيئًا يرد البصر غير أهبية ثلاث، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وسع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لايعبدون الله، وكان متكئًا فقال: «أوفي شك أنت ياابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت: يارسول الله، استغفر لي...» (رواه البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها) ج٥، ص٤٠٨، فتح الباري

فهذا واقع خير خلق الله عز وجل في هذه الدنيا، وهذا موقفه من وسائل العيش التي جعلت الكثير منا ـ إلا من رحمه الله ـ يتمادى في طلبها بصورة تزيده غفلة عن طاعة الله عز وجل، فأصبحنا نتفنن في أمور الأثاث والطعام، فلم نكتف بما يصنع لدينا من الأثاث محليًا، وإن كان متواضعًا في صناعته، بل أصبحنا نجلب ماصنع من أثاث من أرقى الدول الغربية، وإن كان لايتناسب مع تقاليد مجتمعاتنا، ولكنه التقليد الذي

ورِثْتَهُ التبعية. . . وإن كان مرتفعًا في ثمنه ، فكان التباهي به، وكان الإسراف فيه، الأمر الذي نهى عنه الحق تبارك وتعالى بقوله ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف ، آية (٣١).

وأما الطعام فأصبح الكثير منا ـ إلا من رحم الله ـ لايكتفي بالقليل الذي يغطي حاجته وأهله . . . وأصبحنا أيضًا لانقتنع بما ورثناه من الأمهات من طريق تحضير الطعام وأنواعه، بل أيضًا ولينا وجوهنا وبطوننا نحو الغرب والشرق فاستوردنا من أنواع الأطعمة مالايعلمه إلا الله عز وجل مما يفيد ولايفيد، وانتشرت في كثير من الدول الإسلامية المطاعم الأجنبية ، ومطاعم الوجبات السريعة، والتي ضررها أكبر من نفعها، وفي النهاية أصبحت الدنيا هم الكثير منا.

وفي الاعتكاف يتخفف المعتكف من الكثير من هذه الأمور، ويصبح كأنه إنسان غريب في هذه الدنيا، وطوبى للغرباء، فهو من أجل مرضاة الله عز وجل ارتضى أن يقبع في ناحية من المسجد ليس لديه في الغالب إلا وسادة يضع عليها رأسه وغطاء يتغطى به، فراشه هو فراش المسجد؛ لأن بعض المساجد تمنع إدخال الفرش فيها، فهو قد ترك فراشه الوثير وعاداته الخاصة من أجل ذلك الرضى.

أما طعامه فهو مختلف في وضعه، إن لم يكن في نوعه؛ إن كان طعامه يأتيه من منزله، فهو عادة لايأتيه بالكثرة ولايتناوله بالوضع الذي كان يتناوله في منزله على طاولة وكرسي مع أهله وولده، بل يأكل كما يأكل الغريب، ويأكل كما يأكل العبد الفقير إلى ربه، وإن خرج إلى السوق من أجل الطعام فهو يعمل جاهدًا على التعامل مع ماهو متوفر،

ولايشترط نوعًا معينًا ؛ لأنه مطلوب منه العودة إلى معتكفه ، وعدم الإطالة في مثل هذه الأمور ، وبهذا يعرف أن الحياة الدنيا يمكن إدارتها بالقليل الذي يرضى عنه الله ، وكذلك يمكن إدارتها بالكثير الذي لا يرضي الله عز وجل ، والفرق بينهما كبير .

وبهذا يتربى الفرد على حقيقة لها أصالتها في التربية الإسلامية ، ألا وهي أن الحياة الدنيا هي دار ابتلاء واختبار ، وأنها دار ممر وعبور إلى حياة أخرى سرمدية خالدة يجب أن يعمل لها الأنسان جل وقته من خلال تعامله مع هذه الحياة الفانية ، وبهذا التوجه يترفع عن التعلق بالكثير من الأمور المعاشية ، التي كانت تشغل باله في السابق عن مرضاة الله عز وجل .

(٥) الإقلاع عن كثير من العادات الضارة :

في ظل غياب مفهوم التربية الإسلامية في كثير من المجتمعات الإسلامية ، وفي كثير من بيوت المجتمعات الإسلامية التي يُرى لمفهوم التربية الإسلامية نوع من الحضور ؛ نشأت لدى أفراد هذه المجتمعات كثير من العادات التي تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف ، وفشت هذه العادات المنكرة حتى أصبحت نوعًا من المعروف الذي لايرى فيه ضرر على الدين والنفس ، ومن تلك العادات : التدخين ، وسماع الموسيقى ، ومشاهدة مايبث في القنوات الفضائية من أحاديث تخدش عقيدة الإنسان ، ومن مناظر تعمل على هدم أساسيات الأخلاق الإسلامية ، وغير ذلك من عادات لها ضررها على الدين والنفس . وفي عصر الغفلة الذي نعيشه نجد الكثير من أبناء الأمة الإسلامية لايحرك ساكنًا في العمل على التخلص من

مثل هذه العادات بعد علمه بأنها تضاد شرع الحق تبارك وتعالى، وأنها تغمس المتلبس بها في الذنوب والآثام بصورة مستمرة. ويتعذر الكثير بأنه لايستطيع التخلص من مثل هذه العادات؛ لأنها أصبحت جزءاً من حياته العامة والخاصة.

وتأتي فترة الاعتكاف لتكشف للفرد المسلم زيف تلك العادات، وزيف ذلك الاعتقاد الذي سكن في نفوس كثير من المسلمين بعدم القدرة على التخلص من مثل تلك العادات؛ لأنها قد استحكمت في النفوس.

يتعرف الإنسان المسلم في فترة الاعتكاف، وقد خلا إلى خالقه، على مفهوم العبادة بصورتها الشاملة، وأنه يجب أن يكون متعبداً لله عز وجل على مدار الساعة في حياته العامة والخاصة، وأن يبتغي مرضاة الله عز وجل في كل حين، هذه المعرفة لمفهوم العبادة تجعله يقف على زيف بطلان كثير من العادات، والسلوك الاجتماعي في حياته، فهو عندما يتخذ حب ومرضاة الله عز وجل، كميزان يزن به كل عمل يقوم به، يجد أن تلك العادات - التي أشرنا إليها آنفاً وكثير غيرها - لاتتفق مع هذه المحبة لله عز وجل، بل تعمل في اتجاه معاكس لها، ويجد بذلك أن مثل تلك العادات تخرجه من دائرة العبودية الصادقة لله، وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يتخلص منها في أسرع وقت ممكن.

كذلك في فترة الاعتكاف يقف على حقيقة هامة في حياته، وهو أنه يجب أن تكون له إرادة مرتبطة بحب ومرضاة الله عز وجل، هذه الإرادة بهذا التكوين تجعله قادراً على أن يتخلص من كثير من العادات، والسلوك

الاجتماعي ، الذي يتعارض مع شرع الله عز وجل ، وفي نفس الوقت تكوين عادات أخرى إيجابية ، يكسب من خلالها محبة ورضى الله عز وجل.

وفي فترة الاعتكاف لايحق للمسلم أن يخرج إلا لحاجة إيجابية ترتبط بتسهيل أمر اعتكافه في المسجد، وماعدا ذلك يجب أن يمتنع عنه، وإن كان مباحًا فهو ـ على سبيل المثال ـ لايحق له أن يتجول في الأسواق، ولو لفترة بسيطة ليشتري منها مالا ارتباط له بأمر الاعتكاف، فلو خرج لشراء سواك لم يكن في هذا حرج على اعتكافه؛ لأنه من متطلبات الصلاة في اعتكافه، ولكن لو خرج لشراء هدية لزوجته، أو لأحد أبنائه ، فذلك مبطل لاعتكافه ؛ لأن الرسول ﷺ ـ كما ورد سابقًا ـ كان لايخرج إلا لحاجة الإنسان، فكيف إذا خرج المعتكف لأمر محرم كشرب للدخان مثلاً أو لمشاهدة برنامج فضائي قد اعتاد على مشاهدته، لاشك أن ذلك مبطل لاعتكافه لامحالة. وفي هذا يقول (الراضي، د. ت) :

> «فإن شرب خمرًا أو بيرة أو دخانًا بطل اعتكافه ، فإن كان جاهلاً لما شرب أنه مسكر وسكر يبطل اعتكافه على الأصح، وإن تدارك وتقيأ وتمضمض، ولم يسكر لم يبطل، وأما الدخان فلأن كثيرًا من الفقهاء أجمعوا على تحريمه، وأقل حكم فيه الكراهة، فهو خروج لغير عذر فيبطل به الاعتكاف، حتى لو خرج لقضاء حاجته ، فأشعل في الطريق سيجارة يدخنها بطل اعتكافه، أما إذا خرج لمعصية أيًا كانت فإنه يبطل اعتكافه ولو شرط ، حكمه في ذلك حكم من شرط الخروج لجماع زوجته». ص٧٨.

فالإنسان المسلم العاقل الذي أخلص نيته لله عز وجل في اعتكافه يحرص كل الحرص على سلامة وكمال طاعته وعبادته لله عز وجل ، فإذا كان قد ابتلي بشيء من هذه المعاصي ، فالاعتكاف فرصة سنوية يستطيع فيها المعتكف أن يتخلص من هذه البلايا عن طريق التوبة والالتجاء إلى الله عز وجل أولاً ، وعن طريق فطام النفس عن تلك البلايا في فترة الاعتكاف ، وعدم تحقيق رغبة النفس منها ، وتعويدها على ذلك ، وفي هذا كله تربية للنفس في القدرة على التخلص من كثير من العادات التي لاترضي الله عز وجل .

(٦) حفظ اللسان والجوارح عما لاينفع الإنسان :

عمل الإسلام على تنبيه الإنسان المسلم بضرورة حفظ اللسان والجوارح عن كل أمر لايرضي الله عز وجل ؛ لأن هذه الجوارح مستنطقات شاهدات على عمل هذا الإنسان من خلالها يوم القيامة ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ يس ، آية (٦٥) . وفي هذا تحذير وتنبيه بالمحافظة على هذه الجوارح أيما محافظة .

واللسان من أهم الجوارح التي يجب المحافظة عليها ، وذلك لسهولة استخدامه فيما ينفع الإنسان ومالاينفعه . وفي أمر اللسان يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ النساء ، آية (١١٤) .

ويقول فيه الرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه : «إن العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها يزل بها في النار أبعد مابين المشرق والمغرب» (رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان) ج١٣، ص١٠٠، فتح الباري .

والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة ، وقد أوردت الآية والحديث للتنبيه على خطورة هذه الجارحة في الإنسان .

وفي خطورة هذه الجارحة يقول (فريد، ١٤١٤هـ) :

«ومن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخي العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولايكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولاينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل مايخشى غائلته في عاجله وآجله» ص٣٢ .

وفي الاعتكاف نجد أن المعتكف أجدر بأخذ الحيطة في استخدام اللسان؛ لأنه قد خصص هذا الزمن من حياته لله عز وجل بصورة مخلصة، فحركاته وسكناته وجوارحه كلها يجب أن تكون في طاعة الله عز وجل، وفي استخدام اللسان في الاعتكاف يقول (عقلة ، ١٤٠٠هـ):

«يستحب للمعتكف أن يشتغل بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله وماإليها من القربات، وعليه أن ينزه اعتكافه عما لايعنيه من الأقوال والأفعال، وأن يتجنب الجدال والمراء والسباب فهذه الأمور تكره لغير المعتكف فمنه أشد كراهة، ولكنها لاتؤدي إلى بطلان اعتكافه . ولابأس بأن يتكلم بما فيه حاجته ومصلحته مما لاإثم فيه» ص١٧٠ ـ ١٧١ .

وفي تحري استخدام اللسان في طاعة الله عز وجل وفي حدود الحاجة دربة ، وتربية للمعتكف في كيفية استخدام هذه الجارحة المهمة في حياة الإنسان، فهو في زمن اعتكافه يتجنب السباب والشتم ، وإن سابه أحد أو شتمه يعرض عنه ويسامحه قربة لله ، كذلك يتجنب الخوض مع الأخرين في الأمور والقضايا غير المجدية والتي لاتعنيه . ويعمل جاهدًا على المحافظة على لسانه رطبًا من ذكر الله عز وجل، وقراءة القرآن الكريم .

وغض البصر أيضًا من الأمور التي نبه الإسلام إليها ، وذلك في قول الحق تبارك وتعالى ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** . . . الآية ﴾ النور، آية (٣١، ٣٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك لامحالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه» (رواه مسلم ، كتاب القدر، باب قُدّر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره) ج١٦ ، ص٤٢١ ، ٤٢٢ ، شرح النووي .

ففي الآية الكريمة إشارة واضحة إلى ضرورة غض البصر عن محارم الله لكل من الرجل والمرأة، وبالتالي استخدام هذه الجارحة في كل مايرضي الله عز وجل من حاجات الإنسان، والتأمل والتدبر في آلاء الله عز وجل الشرعية والكونية .

وفي الحديث الشريف إفادة بأن استخدام أي جارحة من جوارح الإنسان في غير مرضاة الله عز وجل يعتبر من الزنى المجازي، وليس الحقيقي؛ إذ أن الحقيقي هو إدخال الفرج في الفرج، وبالتالي تكون الجوارح التي استخدمت في غير مرضاة الله عز وجل هي بمثابة الخطوات والمقدمات للزنى الحقيقي كما أوضحه الرسول ﷺ في الحديث السابق.

وتجنب مثل هذه الاستخدامات للجوارح أمر لابد منه في حياة الإنسان المسلم العامة والخاصة، وهي آكد في حق المعتكف الذي أخلص اعتكافه لله عز وجل، فهو لايستخدم حاسة النظر -على سبيل المثال- إلا في أمور الطاعة من قراءة قرآن، وطلب علم، وتدبر وتأمل في ملكوت الحق تبارك وتعالى، وهو بذلك ممتثل لأمر الله عز وجل في حالته هذه في مقامه بالمسجد الذي قد يرتاده النساء، أو في حالة خروجه لحاجاته المختلفة إلى خارج المسجد. ولايستخدم هذه الحاسة في الفرجة والتنزه حال خروجه من معتكفه لقضاء حاجاته. وفي هذا يقول (الراضي، د.ت):

> «لايجوز له الخروج للنزهة أو الفرجة أو لتناول شراب كعصير أو خلافه من المشروب الحلال، فإن خرج لقضاء حاجته ثم أصابه الظمأ، فشرب، فلا بأس، أما إذا وقف للفرجة أو النزهة فقد بطل اعتكافه؛ لأنه إنما خرج لقضاء الحاجة فلا يجوز له غير ذلك» ص٧٨.

وكذلك بقية الجوارح لايستخدمها إلا في طاعة الله عز وجل، حتى القلب والفكر لايجوز استخدامهما في تمني أمور لاترضي الله عز وجل.

فعندما يعي المعتكف أهمية هذه الاستخدامات لهذه الجوارح، والتدرب على كيفية استخدامها الاستخدام الذي يُرضي الله عز وجل،

تستقيم هذه الجوارح، وفي استقامتها استقامة للنفس بصورة كلية؛ لأن النفس بهذه الصورة الكلية لها أصبحت في طاعة الله عز وجل.

(٧) التفكر والتدبر في آلاء الله عز وجل:

تعمل التربية الإسلامية على العناية بمفهوم التفكر والتدبر في آيات الله الشرعية والكونية، وتعتبره مادة أساسية في تربية العقل؛ ذلك أن القرآن الكريم الذي يمثل المصدر الأول لهذه التربية احتوى على إشارات كثيرة تنبه على أهمية التفكر والتدبر، وذلك باستخدام الإنسان لحواسه المختلفة في هذا الأمر، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

(١) ـ ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ البقرة، آية (٢١٩).

(٢) ـ ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ النساء، آية (٨٢).

(٣) ـ ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ يوسف، آية (١٠٩).

(٤) ـ ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ الغاشية، آية (١٧).

ذلك أن هناك هدفًا ساميًا يُراد تحقيقه من جراء عمليات التفكر والتأمل هذه، وهو زيادة الإيمان في النفس المسلمة، فآيات الله عز وجل الكونية في واقع هذه الحياة لاتعد ولاتحصى، فلو تأمل وتدبر الإنسان المسلم الآيات التي تحيط به بصفة مباشرة لعرف قدرة الله عز وجل وعظمته وبديع صنعه في واقع هذا الكون، فالشجرة على سبيل المثال إحدى هذه

الآيات، ولكن عن طريق التعود على شكل الشجرة منذ صغره ينسى الإنسان أنها آية من آيات الله عز وجل، وهي من مخلوقاته العجيبة، ولذلك يمتن الله عز وجل على عبادة بهذا الأمر في قوله تبارك وتعالى ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ الواقعة، آية (٦٤).

فلو تأمل الإنسان واقع هذه الشجرة لعرف أن أصلها بذرة صماء لاحول لها ولاقوة إلا بالله، وضعت هذه البذرة تحت سطح الأرض، وسقيت بالماء، ثم بعد فترة زمنية تدب الحياة في هذه البذرة الصماء، بل تتولد فيها قوة تدفع برأسها إلى خارج سطح الأرض الذي دفنت فيه، ثم تتوالى عملية النمو بإذن الله حتى تتحول النبتة إلى شجرة لها شكل معين، ولون معين، وفاكهة معينة. كل ذلك يوضح قدرة الله عز وجل وبديع صنعه في هذا الكون.

وعندما تتوالى عمليات التفكر والتأمل في مثل هذه الآيات في واقع الإنسان المسلم، يعي أن الله عز وجل هو الواحد الأحد في هذا الكون، وهو المستحق للعبادة عز وجل، ويعلو بالتالي مؤشر الإيمان بالله عز وجل في واقعه.

وآيات الله عز وجل المقروءة ميدان أساسي لعمليات التدبر والتأمل، وقد أمر الإنسان المسلم بذلك في الآيات السابقة؛ لأجل تنمية وتعزيز الجانب الإيماني في النفس الإنسانية.

وفي عصر الغفلة الذي نعيشه، وسعي الإنسان الحثيث وراء متطلبات الحياة المادية تقل الفرص التي تتيح للإنسان المسلم إعمال العقل والفكر في مجال الآيات الكونية والشرعية.

وفي فترة الاعتكاف تصفو النفس المسلمة في اتصالها بخالقها، وينفض الإنسان يديه من مشاغل الحياة الدنيا ، ويتفرغ لما يرضي الحق تبارك وتعالى ، وتتاح له الفرصة تلو الفرصة للقيام بعمليات التفكر والتدبر ، وذلك من جراء الوقت الفسيح الذي يعيشه المعتكف ، وقد أخلى قلبه من كل شيء إلا الله عز وجل ، فلو تفكر المعتكف في أمر كل من الصيام والاعتكاف فقط ؛ لعرف ووقف على الكثير من الحكم التي تقف من ورائهما، ولارتفع مؤشر الإيمان لديه، فعمليات التدبر والتأمل والتفكر هذه تؤكد عليها تربيتنا الإسلامية؛ وذلك ليزداد الذين آمنوا إيمانًا .

(٨) الصبر وقوة الإرادة :

تهتم التربية الإسلامية بموضوع الصبر اهتمامًا كبيرًا، وذلك لتأكيد القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ عليه تأكيدًا كبيرًا، فقد حفلت كثير من آيات القرآن الكريم بالتنبيه على أمر الصبر في أكثر من تسعين [١] موضعًا فيه، منها قوله تعالى :

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ ﴾ العصر ، آية (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران، آية (٢٠٠).

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب ﴾ الزمر، آية (١٠).

وجاءت السنة النبوية لتؤكد على الصبر،وهو أمر مهم في حياة الإنسان يدور حوله كثير من الجوانب الأخلاقية التي يحث عليها الشرع

---

(١) القرضاوي ، الصبر في القرآن الكريم .

الحنيف، فكان الامتثال الحقيقي من قبل الرسول ﷺ لأمر الله عز وجل بالصبر في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُون ﴾ النحل، آية (١٢٧)، فصبر ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل الشيء الكثير، وصبر على أذى المشركين في بداية الدعوة، وخاصة في المرحلة المكية، ولا أدل على هذا الصبر في أن المشركين قد أتو بسلا جزور، فوضعوه على ظهره الطيب، وهو ساجد بالمسجد الحرام، وهو ساكن في سجوده بأبي هو وأمي ﷺ، حتى تأتي الطيبة فاطمة رضي الله عنها وتزيحه عن ظهره ﷺ .

وفي اهتمام القرآن الكريم بموضوع الصبر يقول (القرضاوي، ١٤٠٥هـ) :

«وترجع عناية القرآن الكريم البالغة بالصبر إلى ماله من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى ماديًا ومعنويًا، ويسعد فرديًا واجتماعيًا، فلا ينتصر دين ولاتنهض دنيا إلا بالصبر، فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، في الدنيا لاتتحقق الآمال ولاتنجح المقاصد، ولايؤتي عمله أُكله إلا بالصبر، فمن صبر ظفر، ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء». ص١٤، ١٥ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ماكان يقسم، فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ماأريد بها وجه الله. قلت: أما لأقولن لرسول الله ﷺ . فأتيته وهو في أصحابه

فشاورته ، فشق ذلك على النبي ﷺ ، وتغير وجهه ، وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ، ثم قال : «قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر» . (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر في الأذى) ج١٢ ، ص١٤٠ ، فتح الباري .

وكان يوصي أمته بالصبر ، وذلك في قوله ﷺ : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى » (رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الصبر عند الصدمة الأولى) ج٣ ، ص٥٢٣ ، فتح الباري .

ويرفع ﷺ من قيمة الصبر في حياة الإنسان المسلم في الحديث الذي يقول فيه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : أن أناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ماعنده ، فقال : «مايكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وماأعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر» (رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة) ج٤ ، ص٩٧ ، فتح الباري .

وفي واقع الاعتكاف يتعرض الإنسان المسلم إلى مواقف متعددة هي بمثابة تمرين عملي للعبد على الصبر ، فعلى سبيل المثال :

أ- هناك صبر على طاعة الله عز وجل ؛ إذ إن الطاعة هنا أمر حياتي ومستمر في حياة المعتكف ، وهو أمر لم يكن المعتكف قد اعتاد عليه في حياة ماقبل الاعتكاف ، فعادة ماتكون هناك صوارف كثيرة تصرفه عن هذه الطاعة المتمثلة في الصلاة والذكر والدعاء وحبس النفس على ذلك ، وهو

بطبيعة الحال أمر شديد على النفس كما يذكره (القرضاوي، ١٤٠٥هـ) في نقله عن الإمام الغزالي إذ يقول:

«فإن العبودية شاقة على النفس مطلقًا، ثم من العبادات مايكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها مايكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها مايكره بسببهما جميعًا كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد». ص٤٦.

هذه الطاعة المستمرة لله عز وجل تحتاج إلى صبر مستمر من قبل المعتكف، وفي هذا تربية للإرادة، وكبح لجماح النفس التي عادة ماترغب في التفلت عن هذه الطاعة إلى أمور أخرى تهواها.

ب- وهناك الصبر على مانقص مما ألفت عليه النفس من أنواع الطعام المختلفة التي كان يتعامل معها في المنزل، فتلك الأنواع لاتتوفر في المسجد، أو السوق فيصبر على هذا القليل من أجل مرضاة الله عز وجل.

ج- وهناك الصبر على نوع الفراش الذي ينام عليه، فليس بالإمكان في زمننا هذا أن يوضع له سرير في المسجد، أو فراش وثير كالذي ينام عليه في منزله، فهو ينام على فراش متواضع جدًا إن لم يكن فرش المسجد.

د- وهناك الصبر على مايجد في المسجد من مزاحمة الآخرين له، ومن عدم توفر الهدوء الذي كان يألفه في منزله إذا أراد النوم.

هـ- وهناك الصبر على الزوجة إذ يحرم عليه مباشرتها عند دخوله إلى منزله للحاجة حتى القبل، والعناق، وهي حلاله، وفي هذا الأمر تتجلى قيمة الصبر وقيمة القوة في الإرادة وضبط النفس، ومن خلال هذه

المواقف وغيرها نجد أنه يمكن تربية الإنسان على القدرة على تأجيل كثير من الأمور والرغبات العاجلة من أجل أمور أهم منها ، فهو يؤجل كل هذه الحاجات النفسية والمادية العاجلة من أجل الفوز برضى الله تبارك وتعالى .

(٩) الاطمئنان النفسي :

تستمر الصلة بين الإنسان المسلم وبين ربه عن طريق الروح مادام هذا الإنسان في دائرة العبودية لله عز وجل، وتنقطع تلك الصلة بخروجه عن تلك الدائرة إلى دائرة المعاصي والغفلة، وذكر الله عز وجل الذي يتضمن الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والأذكار المطلقة والمقيدة، وسعي في جنبات هذا الكون بابتغاء مرضاة الله عز وجل في كل جهة، كل هذا يجعل الإنسان المسلم يسكن ويركن إلى جنب الله عز وجل، فتطمئن نفسه وترضى بما يُقدّر عليه من خير أو شر ، ومن عافية وبلاء، لاعتباره أن ذلك من ركائز الإيمان الستة، والتي منها : الرضا بالقدر خيره وشره، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ الرعد ، آية (٢٨).

وفيه يقول (سيد قطب، ١٤٠٠هـ) :

«تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضد ، ومن كل شر إلا بما شاء مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة» ج٤، ص٢٠٦٠ .

فذكر الله عز وجل بعموميته جالب لطمأنينة النفس لامحالة، وذلك بتقرير من الحق تبارك وتعالى، وتتأكد الطمأنينة في واقع المعتكف بصورة أساسية؛ لأن حياته في معتكفه تدور حول هذا الأمر بصورة أساسية ومستمرة، فصحوته ذكر، ومنامه ذكر، وطعامه ذكر، وحركاته وسكناته كلها ذكر، وهنا تشرق على نفسه طمأنينة لم يكن يعهدها في حياته العامة والخاصة في فترة ماقبل الاعتكاف؛ لأنه ركن واستكان إلى جنب الله، فهو ضيف على الله في بيت من بيوته، وقد يتساءل عن سر تلك الطمأنينة ومصدرها، وحق له أن يتساءل، فيجد الإجابة بصورة مباشرة تبرز من ثنايا أعماله التي يقوم بها في اعتكافه والتي منها على سبيل المثال :

أ) : الصلاة : يجد الإنسان فيها نفسه في لقاء مباشر مع خالقه يناجيه، فيسمعه عز وجل، يدعوه في سجوده، فيستجيب له فتطمئن النفس إلى هذا اللقاء، وتكثر منه، وفي هذا يقول (سابق، د. ت) :

«ومن جانب آخر فإن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها وتوجيه لها إلى الله بالذكر والدعاء والضراعة والخضوع لكبريائه وعظمته. وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضى، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة، فتتجدد قواها، ويحفزها ذلك إلى العمل الجاد والأمل في وجه الله الكريم» ص١١٦، ١١٧.

ب) : قراءة القرآن الكريم : وهو دستور حياة الإنسان على مستوى الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهو مصدر الذكر المقيد والمطلق، وهو حياة القلوب المؤمنة بالله عز وجل، وفي هذا يقول (النشمي، نقلاً عن شمس الدين ابن القيم ١٤١٢) :

«إن ذكر الله ههنا القرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله ، به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لايطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولاسبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن ، فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه ، واضطرابه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به» ص٢٣٨ .

ج) : الذكر المقيد والمطلق : وهو ماورد عن رسول الله ﷺ من تهليل، وحمد، وتسبيح، وتكبير، وفي استمرارية المعتكف في هذا النوع من الذكر جل أوقاته مدعاة وسبب لحصول الأمان، والاطمئنان النفسي.

ويذكر (ابن القيم الجوزية ١٤٠٧هـ) أن من فوائد الذكر :

«أنه يزيل الهم والغم عن القلب، وأنه يجلب الفرح والسرور والبسط» ص٦١ . و «أن ذكر الله عز وجل يذهب من القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ماهو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا والله المستعان» ص٢٠٥ .

فيعلم بذلك المعتكف أن ذكر الله عز وجل والتعلق به، والصلة المستمرة به، هو السبب الرئيسي في وجود ذلك الاطمئنان النفسي في حياته، فيربي نفسه، ويعودها على استدامة الذكر في واقعه كله .

(١٠) قراءة القرآن وختمه :

قراءة القرآن الكريم هي أفضل الذكر، وهي من أفضل أنواع التجارة الرابحة مع الرب عز وجل، وقد ضمن سبحانه تعالى الربح والجزاء الكبير لمن قرأ القرآن وعمل به، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر، آية (٢٩ ـ ٣٠).

وجاءت السنة النبوية مؤكدة على هذا العطاء من الله عز وجل لمن قرأ القرآن الكريم ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يقول الرب سبحانه وتعالى : من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ماأعطي السائلين ، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه». (أخرجه الترمذي ، كتاب فضائل القرآن، باب ٢٥) ج٥ ، ص١٨٤ . وقال : هذا حديث حسن غريب .

وقراءة القرآن الكريم ميدان رحب لكسب الحسنات، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لاأقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف». (أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن ، باب ماجاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر) ج٥ ، ص١٧٥ . وقال: حديث حسن صحيح من هذا الوجه.

وحافظ القرآن الكريم العامل به له الدرجات العلا في الجنة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: «يقال

لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » . (أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ١٨) ج٥، ص١٧٧ . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

فهذا حديث عظيم في توضيح الحسنات التي يجنيها الإنسان المسلم من جراء ختمه لكتاب الله عز وجل، فقد ورد في تفسير (ابن كثير، ١٤١٢هـ) أن عدد حروف القرآن الكريم (٣٤٠٧٤٠) حرفًا . ج١، ص١٢ . وبعملية حسابية بسطية وجد أن الحسنات المكتسبة ـ إن شاء الله ـ من جراء ختم القرآن الكريم (٣,٤٠٧,٤٠٠) ثلاثة ملايين وأبعمائة وسبعة آلاف وأربعمائة حسنة، فما أعظمه من ربح، وماأعظمه من استثمار ترنوا إليه القلوب المؤمنة، وترنوا إليه النفوس التي تريد أن تثقل بها موازينها بالحسنات يوم العرض على الله عز وجل.

فهذه بعض الشواهد التي ذكرت في فضل قراءة القرآن الكريم من الكتاب وسنة المصطفى ﷺ ، ولاشك في أن المعتكف يقضي جل وقته في قراءة القرآن الذي هو أفضل الذكر ، وبذلك ينال كثيرًا من المكاسب والتي منها :

(أ) التجارة الرابحة التي لاخسران فيها مع المولى عز وجل.

(ب) ملايين الحسنات التي تأتي من جراء ختمه للقرآن الكريم.

(ج) قد يبدأ المعتكف في حفظ بعض السور في اعتكافه، وبذلك يضع البذرة الأولى لحفظ كتاب الله عز وجل، ويرتقي درجات الجنة بما حفظه من كتاب الله.

(د) استحقاقه لأفضل عطاء من الله عز وجل عند مداومته لقراءة القرآن الكريم.

(هـ) استحقاقه لذكر الله عز وجل له، ونزول السكينة، والطمأنينة عليه كما جاء في الحديث الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «.... وماجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه». (رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) ج١٧ ، ص٢٣ ، ٢٤، شرح النووي.

(و) استحقاقه استجابة الدعاء عند ختمه للقرآن الكريم؛ إذ يقول (النووي ، ١٤١٤هـ) : «وروي بأسانيده الصحيحة عن الحكم بن عتيبة التابعي الجليل قال: «أرسل إلي وعبدة بن أبي لبابة ، فقالا: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء مستجاب عند ختم القرآن». وفي بعض الروايات الصحيحة أنه كان يقال: «إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن». ص١٥٨ .

ومعرفة الإنسان المسلم بصورة عامة، والمعتكف بصورة خاصة بهذه الفضائل وغيرها ، التي تأتي من خلال قراءة القرآن، والعمل به، وختمه مرة تلو أخرى، هي تربية على الحرص على تعلم القراءة السليمة للقرآن الكريم، وعلى الحرص كذلك على المداومة على قراءته، وتخصيص ورد يومي يحرص كل الحرص على قراءته، وبذلك يسعد في دنياه وآخرته.

(١١) التوبة النصوح :

من طبيعة الإنسان الخطأ ، واقتراف المعاصي ، وذلك لقول الرسول ﷺ: « كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» . (أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ٤٩) ج٤ ، ص٦٥٩ . وقال: غريب .

ويزداد خطأ الإنسان واقترافه للمعاصي حينما يكون غافلاً عن العمل بشرع الله القويم، وعن ذكره تبارك وتعالى، ويكون ذلك خاصة عند تدني مؤشر الإيمان بالله عز وجل في النفوس، وبازدياد الأخطاء والمعاصي قد يصل الإنسان إلى مرحلة تخيل تعاظم هذه المعاصي، وعدم القدرة على التخلص منها، وأنه بها هالك لامحالة، غير أن في شريعة الإسلام اعتراف بطبيعة هذا الإنسان لاقترافه المعاصي، وإقرار كذلك بأن الله عز وجل غفار تواب لسائر المعاصي إذا أناب العبد إلى ربه وتاب .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الزمر، آية (٥٣). لأن الله عز وجل خلق الخلق وهو أعلم بهم، وقد خلقوا على هذه السجية - إلا من عصم الله من الأنبياء والرسل - وهي القابلية لاقتراف الذنوب والوقوع في المعاصي، ولكنه عز وجل في الطرف الآخر يأمرهم بالتوبة والإنابة إليه ؛ إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور، آية (٣١).

وفي حياة الرسول الله ﷺ نجد أن التوبة والاستغفار أمر حياتي ملازم له في حياته اليومية، وهو المعصوم ﷺ فكيف بحال من يقع في الذنوب

والمعاصي في كل وقت من أوقات الليل والنهار ؟ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» . (رواه البخاري ، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة) ج١٢، ص٣٧٩، فتح الباري.

وفي حياة المعتكف نجد أن هناك أموراً عدة تحثه على التوبة النصوح من كل معاصية، منها :

أ- أن القلب قد توجه بكليته إلى الله عز وجل، وأن الصلة بين هذا الإنسان وبين خالقه اتسمت بالاستمرارية على مدار اليوم والليلة، وحري بالإنسان المسلم أن يستثمر هذه الصلة بالتوبة ،والندم، والاستغفار، وذلك لقربه من مولاه عز وجل.

ب- أن هناك مجالاً للتفكر والتأمل في حياة المعتكف ، وأولى الأمور التي يجب أن يتفكر ، ويتأمل فيها الإنسان هي حياته العامة والخاصة ، فكيف هي من تطبيق شرع الله عز وجل ؟ وماجوانب النقص في هذا التطبيق ؟ وما الأسباب التي أدت إلى وجود ذلك النقص في التطبيق في حياتة ؟ ومن خلال تأمل جوانب النقص هذه تظهر خطايا ومعاصي هذا الإنسان ، ومن خلال هذا التأمل يأتي الإقرار والاعتراف من جانبه بهذه الذنوب والمعاصي ، وقد يخدش هذا الاعتراف الذاتي أمام خالق الإنسان الصفاء النفسي ، الذي يعيشه المعتكف أوقات اعتكافه، فيتأذى من ذلك ، ويدفعه هذا الأذى إلى المبادرة بالتوبة والنية والعزم على عدم العودة إليها، وبالتالي تدارك جوانب النقص في تطبيق شرع الله عز

وجل في حياته العامة والخاصة ، وتذكر قول الحق تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ التحريم ،آية (٨) . والتوبة النصوح هي كما جاء في (ابن كثير ١٤١٢هـ) «توبة صادقة جازمة تمحو ماقبلها من السيئات، وتلم شعث التائب، وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات » ج٤ ، ص٦١٢ .

ج ـ أن المعتكف يحيا بواقعيته شهر المغفرة، والتوبة، والعتق من النار ، وفي هذا دافع حقيقي للتوبة النصوح يقول (ابن عثيمين، ١٤٠٨هـ) :

«أن الله يغفر لأمة محمد ﷺ في آخر ليلة من هذا الشهر إذا قاموا بما بنبغي أن يقوموا به في هذا الشهر المبارك من الصيام والقيام تفضلاً منه سبحانه بتوفية أجورهم عند انتهاء أعمالهم فإن العامل يوفى أجره عند انتهاء عمله» ص٦ .

واستشعار مرضاة الله عز وجل ، والثقة فيه تبارك وتعالى بأن يغفر الذنوب جميعًا ؛ يورث النفس طمأنينة واستقراراً ، ويدفعها إلى الاستمرارية في العمل الصالح ، وابتغاء مرضاة الله عز وجل في كل حين، والمسارعة إلى التوبة ، والاستغفار كلما بدر منه تقصير أو خطأ ، وبذلك تصلح حياة الإنسان العامة والخاصة، وتصبح الحياة كلها لله تبارك وتعالى

(١٢) قيام الليل والتعود عليه :

قيام الليل سمة من سمات شهر رمضان المبارك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه» (رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان) ج١ ، ص١٢٨ ، فتح الباري .

وفي شرح الحديث يقول (ابن عثيمين، ١٤٠٨هـ) : «ومعنى قوله : إيمانًا : أي بالله ، وبما أعده من الثواب للقائمين. ومعنى قوله : احتسابًا أي طلبًا لثواب الله لم يحمله على ذلك رياء ولاسمعة ولاطلب مال ولاجاه وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره » ص١٨ .

فالمعتكف يبتغي مرضاة الله عز وجل من اعتكافه، وقيام الليل ، وخاصة في العشر الأخيرة من رمضان من صلاة تراويح ، وتهجد، وبذل جهد فيهما يزيده رضاً من الله عز وجل، وفي هذا يقول (آل عبد المحسن، ١٤٠٤هـ) :

«فاعلم أنه يجتمع للمؤمن في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وُفّيَ أجره بغير حساب» ص٢٠٨ .

ومن خلال قيام الليل يتربى المعتكف على حسن الوقوف بين يدي الله عز وجل بنفس صافية، وروح موصولة بالله عز وجل، يتربى على حسن المناجاة، ويقف على هذه اللذة، وهو موقن بأن الله عز وجل قريب منه يراه، ويسمعه، ويستجيب له، وذلك لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (رواه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) ج٣، ص٣٣٨، فتح الباري .

فالدعاء والسؤال والاستغفار جمع كل أحوال الإنسان المسلم الدنيوية والأخروية، وفي هذا تربية للإنسان على مفهوم العزة، وعدم الخضوع لغير الله عز وجل، إذ إن كل مقاليد الأمور الدنيوية والأخروية بيده عز وجل، فيتربى بذلك على اللجوء المستمر إلى الله تبارك وتعالى؛ فهو لايسأل إلا الله عز وجل في كل أموره العامة والخاصة، ولايستعين فيهما إلا بالله عز وجل، وهذا كله يعطي الإنسان دفعة قوية للقيام بمهمة الخلافة في الأرض، وحري بمن تعود على لذة مناجاة خالقه في أوقات السحر - والذي يعتبر من أثمن الأوقات في حياة الإنسان المسلم - واليقين بأن الله عز وجل يراه ويسمعه، حري به ألا تفوته ليلة من ليالي عمره القصير إلا وقد تلذذ بتلك المناجاة، وعز نفسه بالالتجاء الحق إلى بارئه.

(١٣) عمارة الوقت:

الوقت له أهمية كبرى في حياة الإنسان المسلم؛ إذ إنه هو حياته، وذلك بالوقت الذي يبدأ من حين ولادته وحتى مماته. وقد اهتم الإسلام بالوقت فجاء قسم الله تبارك وتعالى بالوقت، أو بعض أجزائه في بعض سور القرآن الكريم، والتي منها قوله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر، آية ١ - ٣.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ الشمس ١-٢

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ الضحى ١-٢.

وفي هذا كله تنبيه للإنسان بأهمية الوقت في حياته، فالصلاة التي هي بمثابة عمود الدين الإسلامي جعلت لها أوقاتًا معينة، وكذلك بقية أركان الإسلام من صوم وزكاة وحج.

وجاءت السنة النبوية لتؤكد على أهمية الوقت، وأن أثر هذا الوقت في حياة الإنسان لايقتصر على الحياة الدنيا بل يتعداها إلى الحياة الآخرة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير) ج٢٠، ص٦١. وله شاهد من حديث أبي بردة الأسلمي (أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة) ج٤، ص٦١٢. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فالإنسان محاسب عن الفترة الزمنية التي عاشها في هذه الحياة من التكليف حتى الممات بصورة عامة، وعن مرحلة الشباب بصورة خاصة؛ وذلك لأهمية الوقت في هذه المرحلة العمرية للإنسان.

وفي أهمية الوقت في حياة الإنسان المسلم وضرورة صرفه في طاعة الله عز وجل. يقول (ابن قيم الجوزية، ١٤١٢هـ):

> «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهر والأماني الباطلة، وكان خير ماقطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته» ص١٨٤.

والمعتكف قد عمل جهده، وحرص على إنفاق وقته كله في طاعة الله عز وجل ومرضاته، وعمل أيضًا على تنظيم وقته، فجاءت الصلاة في مواعيدها، وبالتالي عمل على أدائها جماعة ، وقد علم فضل هذه الجماعة عند الله عز وجل، وتعود في فترة اعتكافه على أدائها على هذا النحو، وقسم باقي وقته على أنواع متعددة من العبادات، فكان لقراءة القرآن وقته، وللذكر المقيد وقته، وللذكر المطلق وقته، وللتأمل والتفكر وقته، ولحاجاته المختلفة أوقاتها المحددة، وبذلك نجده قد استفاد من كل دقيقة في مرضاة الله، وهو بذلك قد وقف على قيمة الوقت وحقيقته ، فتربى في هذه الفترة الزمنية القصيرة على كيفية استغلال الوقت بصورة سليمة مما يتوقع أن يكون له أثره في حياة مابعد الاعتكاف.

(١٤) القرب من الله عز وجل ومحبته تبارك وتعالى للعبد :

في نهاية فترة الاعتكاف نجد أن الصلة الإيجابية بين العبد وخالقه عز وجل قد ازدادت في استمراريتها على مدار الليل والنهار، سكن فيها المعتكف إلى بارئه في بيت من بيوته عز وجل، أحب الله عز وجل، ووجد هذا الحب سبيلاً إلى قلبه عن طريق لزومه لبيت الله عز وجل معرضًا عن حياة دنيا أحبها، وجمع لها، وفطم نفسه منها لفترة الاعتكاف، وجد هذا الحب سبيلاً إلى قلبه عن طريق لزوم طاعته عز وجل من أداء للفرائض، وقيام بالنوافل المتنوعة، وتعتري النفس المؤمنة الصادقة مشاعر الحب هذا، وهي تتمنى الشوق إلى لقاء الله ؛ لأنها ذاقت لذة هذا الحب، ذاقت لذة المناجاة، وذاقت لذة الخشوع، وذاقت لذة انهمار الدموع خشية من الله وتعظيمًا له، وذاقت لذة راحة النفس، وذاقت لذة الطاعة بصورتها الكلية، فكان هذا الحب لله الذي جاء نتيجة قرب العبد من ربه عز وجل.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن العبد إذا وصل إلى هذه الدرجة من حب الله عز وجل مقبلاً إليه عن طريق طاعته ومرضاته؛ فإن الله عز وجل يبادل هذا الإنسان ـ الضعيف الذليل ـ المحبة، ويرفع من شأنه في الدنيا والآخرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه، وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته» . (رواه البخاري، كتاب الرقاق ، باب التواضع) ج١٣ ، ص١٤٢ ، فتح الباري.

ويقول (ابن حجر العسقلاني، ١٤١٤هـ) :

«قال أبو القاسم القشيري: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه، وقرب الرب من عبده مايخصه في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه، ولايتم قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق» ج١٣ ، ص١٤٥ .

فالمعتكف قد ابتعد عن الخلق ، وأدى ماافترضه الله عليه من صيام ، وصلاة، وزكاة ، وتقرب إلى الله عز وجل بنوافل شتى من اعتكاف، وصلاة، وقراءة قرآن، وذكر، وتفكر ، وتأمل، وغير ذلك من أنواع النوافل المختلفة، واعتادت النفس أداء تلك النوافل ، فمن طريق هذا

القرب من العبد لربه، وبعده عن الخلق يأتي تبادل المحبة بين العبد وخالقه عز وجل، وهذا فضل من الله عز وجل في رفع درجة المعتكف عنده تبارك وتعالى.

وشعور المعتكف بهذه المحبة تجعله يعمل على المحافظة عليها في حياته فيما بعد الاعتكاف؛ لأنها أثمن مايملك الإنسان في الدار الفانية، والدار الباقية، ولابد له من العمل على تنمية هذه المحبة عن طريق زيادة القرب من الله عز وجل؛ لأن العبد كلما أراد القرب من الله عز وجل زاده الله قربًا منه، وأثابه على القليل من هذا التقرب بالأجر والثواب العظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» (رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾) ج١٥، ص٣٣٧-٣٣٨.

وفي شرح معنى التقرب من العبد ومن الله تبارك وتعالى يقول (ابن حجر العسقلاني ، ١٤١٤هـ) :

> «فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرًا وذراعًا وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله، ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشي عبارة عن إثباته على طاعته وتقربه من رحمته، ويكون قوله : أتيته هرولة . أي أتاه ثوابي مسرعًا، ونقل عن الطبري أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع، فجعل

ذلك دليلاً على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده إلى مايثيبه الله تعالى » ج١٥ ، ص٤٩١ .

وهذا دليل على أهمية النوافل في حياة الإنسان المسلم، فقد تعمل الأسرة على تربية أبنائها، وحثهم على أداء الفرائض، ولكنها تهمل التأكيد على أهمية النوافل ، فينشأ الفرد مهملاً لها في حياته، وبذلك يفقد زيادة القرب من الله عز وجل .

(١٥) تزكية النفس :

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ الأعلى ، آية (١٤) .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ الشمس ، آية (٩) .

التزكية هي تطهير النفس، ورفع مكانتها عند الله عز وجل بطاعته تبارك وتعالى، وإذا رجعنا إلى الجوانب التربوية للاعتكاف التي وردت في هذا البحث نجد أنها عبارة عن ميادين رئيسية في تطهير النفس، وعند استمرارية مفهوم التزكية عند من اعتكف في مرحلة مابعد الاعتكاف، والحرص على تطهير النفس من كل أمر ليس فيه رضى الله تبارك وتعالى، لكان ذلك عنوان فلاح ونجاح ذلك الإنسان في دنياه وآخرته، وهذا في حقيقته من الأهداف الأساسية للتربية الإسلامية؛ إذ أنها تهدف إلى إعداد الإنسان المسلم للحياة الدنيا والآخرة على نور الشرع الحنيف .

(١٦) صلاح القلب وجمعه على الله عز وجل :

وهذا مجموع فيه فضائل الاعتكاف كلها ؛ إذ أن المعتكف إذا أخلص النية في اعتكافه وحبس نفسه على طاعة الله ، واشتغل بذكر مولاه، وابتغى بذلك رضاه، توجه القلب بكليته إلى خالقه يناجيه، ويدعوه، ويستغفره، ويفتقر إليه في كل شؤنه، وفي هذا يقول (ابن القيم الجوزية، ١٤٠٧هـ) :

«وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى ، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه ،ومايقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لاأنيس له، ولا مايفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم» ج٢، ص٨٧.

وتوجه القلب بكليته في واقع الحياة العامة التي يحياها إنسان اليوم، وخاصة في عصر الغفلة لايتأتى له؛ وذلك لكثرة الصوارف والمغريات التي تصرف القلب، وتصده عن التوجه بكليته إلى الله عز وجل.

إن الخلوة والأنس بالله عز وجل التي يحياها المعتكف في معتكفه، هي بمثابة تربية وتدريب له لكي تستمر تلك الخلوة والأنس بالله في حياته بعد الاعتكاف، حتى يتخلص ولو لفترة بسيطة في حياته من متعلقات النفس المادية، وتهيئة النفس كما أشار ابن القيم للأنس بالله في وحشة

القبور، وهذا يعني أن من فوائد الاعتكاف مالا يقتصر على الدنيا بل يتعداها إلى الحياة الآخرة ذلك أن القبر أول منازل الآخرة.

(١٧) حقيقة اتباع ومحبة الرسول ﷺ :

يسعى الإنسان المسلم الحق إلى تحقيق حب الله عز وجل من خلال اتباع شرع الحق تبارك وتعالى ، وابتغاء مرضاته في كل جانب من جوانب حياته العامة والخاصة، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى مبدأ أساسي في جلب هذه المحبة لله عز وجل ، وغفران الذنوب والخطايا أيضًا، وذلك عن طريق اتباع الرسول ﷺ يقول تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ آل عمران ، آية (٣١).

فاتباع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأعماله يؤدى إلى أمور أساسية يسعى إليها الإنسان المسلم من أبرزها :

١) محبة الإنسان لله عز وجل ، وهذا مطلب أساسي للإنسان المسلم.

٢) محبة الله عز وجل لهذا الإنسان، وهي أعظم من سابقتها، ونتيجة أساسية لاتباع الرسول ﷺ .

٣) غفران الذنوب من الله عز وجل لهذا الإنسان.

٤) ثم نتيجة تلقائية، وهي محبة الإنسان المسلم للرسول ﷺ ، والتي تأتي عن طريق الاتباع ، فالمحب الحقيقي هو المتبع لجميع أعماله وأقواله من غير زيادة أو نقصان، ودرجة التكامل في محبة الرسول ﷺ هو التمسك بالسنة الواجبة، والمستحبة على السواء، لأنها دليل حقيقي على المحبة، والاستكثار من الحسنات التي تأتي من طريق متابعة

الإنسان المسلم لسلوكه ﷺ بصورة عامة ، وهو ماأشار إليه (عبد الفتاح أبو غدة في تقديمه لكتاب الهندي، ١٤١٢هـ) والذي أوردته في بداية هذا البحث ، ويطيب لي أن أورده ثانية في ختام تبيان الجوانب التربوية للاعتكاف حيث يقول :

« ترى بعض العلماء المتفقهين من أهل عصرنا ، ممن عرف بالتساهل في التمسك بالسنن إذا قيل له في ترك بعض السنن قال : هي سنة ، وهي جائزة الترك ، ويدع المعنى الإيجابي ، وهو المقتضي للاتباع والاقتداء ، واللائق بالمسلم الحصيف غير هذا ، فقد كان السلف الأول يفعلون كل مطلوب شرعًا ، ولو كان رغيبة أو فضيلة دون تمييز على سبيل الفرض أو الواجب وبين مايطلب على سبيل الترغيب أو الندب .

فالسنة المندوبة حصن للفرائض الواجبة ، وباب لزيادة الحسنات والأنوار على المتسنن بها ، وعنوان الحب والاتباع لهدي الرسول الكريم ﷺ في شأنه كله ، فالحرص على السنن النبوية والتمثل بها من أكبر الغنائم وأجمل الصفات وأفضل القربات والطاعات فعليك بها أيها الأخ المسلم» ص١٥ .

والاعتكاف كما أشرنا سابقًا من السنن المؤكدة التي حرص رسول ﷺ على القيام بها ، وأدائها في شهر رمضان ، ولم يلزم أمته بذلك ، والاعتكاف من ناحية تطبيقية ، والعمل به ليس من السنن القولية والعملية التي تتسم باليسر مثل إلقاء السلام أو التيمن عند لبس الحذاء ، وخلعه ، بل فيه مشقة بدنية ، ونفسية ، كما عرفنا ذلك سابقًا . فالمتمسك بسنة الاعتكاف سنة بعد سنة على قدر أحواله وظروفه ، مؤشر على تغلغل محبة الرسول ﷺ ، واتباعه في نفس الوقت ، وفي هذا رفعة للإنسان المسلم في دنياه وآخرته .

النتائج

يمكن حصر نتائج الدراسة في النقاط التالية :

(١) أن الاعتكاف سنة مؤكدة ، واظب عليها الرسول ﷺ منذ أن فُرض صيام شهر رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف من بعده أزواجه وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

(٢) أن هديه ﷺ في الاعتكاف كان أكمل وأيسر هدي .

(٣) أن الرسول ﷺ مرت عليه في حياته تسع رمضانات اعتكف في خمس منها، وقضى اعتكافه مرة في شهر شوال، وبذلك يكون قد اعتكف ست مرات في حياته ﷺ .

(٤) أن الاعتكاف من وجهة نظر التربية الإسلامية هو بمثابة دورة تربوية إسلامية مكثفة، تتمثل فيها جوانب تربوية متعددة، من أهمها تطبيق مفهوم العبودية لله عز وجل بصورة شاملة .

(٥) ترك الكثير من المسلمين اليوم لهذه السنة إلا من رحم الله .

التوصيات

(١) التأكيد على ضرورة العودة على إحياء سنة الاعتكاف ، والتي تعتبر من السنن المؤكدة للمصطفى ﷺ لما لها من أهمية دنيوية وأخروية في حياة الإنسان المسلم .

(٢) ضرورة تنشيط الهمم عن طريق المحاضرات والندوات في وسائل الإعلام المختلفة، وفي دور التعليم بتوضيح أهمية هذه السنة والحث على تطبيقها، وتبيان الجوانب التربوية لها .

(٣) ضرورة معرفة المعتكف بأحكام الاعتكاف، ومقاصده، وشروطه، وأركانه، وزمانه، ومكانه، ومحظوراته حتى يؤدي هذه السنة على هدي الحبيب محمد ﷺ ، وحتى تنعكس الجوانب التربوية على حياته.

* * *

قائمة المحتويات

المصـــادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن أبي القاسم ، ١٣٩٨ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية .

٣ - .... ، ١٣٩٨ ، العبودية ، دار المدني ، جدة

٤ - ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ١٤١٤ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٥ - ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ، ١٤٠٧ ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦ - .... ، ١٤٠٧ ، الوابل الصيب من الكلم الطيب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٧ - .... ، ١٤١٢ ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٨ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء ، ١٤١٢ ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٩ - ابن ماجه ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، د . ت ، سنن ابن ماجه ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

١٠ - ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، د . ت ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

١١ـ أبي داود، الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، د. ت، سنن أبي داود، دار الفكر.

١٢ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، د. ت، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣ـ الطبراني، أبو أحمد سليمان، د. ت، المعجم الكبير، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بغداد.

١٤ـ القرطبي، الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ١٤٠٨، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥ـ قطب، سيد، ١٤٠٠، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت.

١٦ـ النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف الدين، ١٤١٤، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٧ـ ....، ١٤١٤، التبيان في آداب حملة القرآن، دار البيان، دمشق.

المراجع

١٨ـ ابن عثيمين، محمد بن صالح، ١٤٠٨، مجالس شهر رمضان، دار المجتمع، جدة.

١٩ـ أسد، محمد، ١٩٧١، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٠ـ الأشقر، عمر سليمان، ١٤١١، مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، دار النفائس، الأردن، عمان.

٢١ـ آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، ١٤٠٤، عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان، مكتبة العليقي، القصيم، بريدة.

٢٢ـ الحداد، أحمد بن عبد العزيز بن قاسم، ١٩٩٦، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٣ـ الراضي، سمير جميل أحمد، د.ت، الدعاء والاعتكاف، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

٢٤ـ الزحيلي، وهبة، ١٤٠٥، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر.

٢٥ـ سابق، السيد، د.ت، إسلامنا، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٦ـ سالم، عطية محمد، ١٣٩٩، مع الرسول ﷺ في رمضان، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

٢٧ـ عزام، عبد العزيز محمد، ١٣٩٧، الصوم في شريعة الإسلام، دار الكتاب الجامعي.

٢٨ـ عقلة، محمد، ١٤٠٠، أحكام الصيام والاعتكاف، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان.

٢٩ـ فريد، أحمد، ١٤١٤، تزكية النفوس، دار البخاري، بريدة.

٣٠ـ الفوزان، عبد الله بن صالح، ١٤١٤، أحكام حضور المساجد، دار المسلم، الرياض.

٣١ـ القرضاوي، يوسف، ١٤٠٥، الصبر في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٢ـ الكبيسي، أحمد عبد الرزاق، ١٤٠٧، الاعتكاف أحكامه وأهميته في حياة المسلم، دار المطبوعات الحديثة، جدة.

٣٣ـ المباركفوري، صفي الرحمن، ١٤٠٠، الرحيق المختوم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

٣٤ـ النشمي، عجيل جاسم، ١٤١٢، طب القلوب، للإمام شمس الدين محمد ابن أبي بكر المشهور بابن القيم الجوزية، دار الدعوة، الكويت.

٣٥ـ الهندي، أبي الحسنات، محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي، ١٤١٢، تحفة الأخيار في إحياء سنة سيد الأبرار، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.